



عضو أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالقاهرة

الاغتراب في شعر الصعاليك

دكتورة

سعدية حسين البرغثي

رئيس قسم اللغة العربية - كلية التربية - جامعة بنغازي

نوفمبر ٢٠١١م

العدد الخمسون (٥٠)

مجلة الثقافة والتنمية

التمهيد :

يبدو أننا في جملة نتاجنا الأدبي أمام ثروة من تراثنا تمتد كما تمتد وتتناثر حبات الرَّمْل ، ولكن شعرنا حريص على أن يضع الكل من هذه الذرات وأن يؤلف منها هذا الكون الذي اسمه الصَّحراء من خلال القصيدة الشعريّة ... بخاصّة وأن تراثنا العربي في العقود الأخيرة لقي ألواناً من الغزو وحملات قاسية ضده واتهم بتهم كثيرة لم يكن التّحديث أو التّجديد غرضها - كما يقولون - وإنما كان التّفكير من هذا التّراث بعض غايتها ، وكادت هذه الحملة الظالمة أن تنال من النّزعات الأخلاقية في هذا الشّعْر ، فأطلقت عليه أسماء وأضافته إليه صفات ... قالت عنه إنه شعر الخمود العاطفي ، ورُمي بالجفاف ، وعلى حين كان هذا الشّعْر ديوان العرب ، وكان الخليفة الثّاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحض على روايته ، وعلى حين كان الطّفل ينشأ على ما في هذا الشّعْر من مُثُل وقيم أخلاقية ، ويكتسب مناعة أخلاقية ترتفع بسلوكه إلى أفق إنساني هو من صميم تراثه ، ويرتقي به إلى المثل العليا ، وتدفع به السّمُو وطلب الرّقعة ، وتجنب التّبذل ، لذلك علينا أن ننصف أدبنا وأن نتبين حق التّبيين قيمه الفنيّة والأخلاقية ، حتى نحسن الانقياد إلى هذه القيم بديلاً عن الثورة الطائشة عليها ، فقد تجلّت أهمية موروثنا من الشّعْر العربي قبل الإسلام في خلوده بذاكرة الزمن وذاكرتنا ، لأنّه استطاع أن ينقل المشاعر والأحاسيس ويعبّر عن كوامن النّفس ، ويصوّر الحياة والتّقاليد .

المقدمة :

الحمد لله وكفى ... وصلاة وسلاماً على عباده الذين اصطفى وبعد :

في هذه الدّراسة نحاول معالجة جزء من تراثنا الشعري العربي الذي صوّر عبر العصور جانباً مهماً من جوانب الحياة الإنسانية التي عاشها العربي في العصر الجاهلي من حيث الزّمان والمكان ، حيث عاش صراعاً وجودياً منذ اللّحظة الأولى التي أبصر فيها نور الحياة ، فقد صادفته مخاطر وأهوال وواجهته طلاسّم ظلت ترمبه وتجعله دائم الحيرة والخوف والتّأهب استعداداً لأيّ طارئ ، فما بالك أن يكون هذا الجاهلي صعلوكاً لم ينسجم مع ميول ونزعات ونزوات قومه ، زد على ذلك

قسوة الطبيعة وقلة الزاد الاقتصادي ، والتفاوت الطبقي وما يولده من تفاوت يشعره بالدونية وقد يضطر أحياناً للتعامل مع قومه بكل عنف ، حيث يجعل من الغزو والسلب أساساً من الأسس التي يؤمن بها .

وقد يولد لديه الاستهتار بالقبيلة والخروج عن المألوف فقد وجد الصعلوك نفسه محاصراً بصراعات قبلية ، وكان عليه أن يقاوم تلك الصراعات بكل ما أوتي من قوة للمحافظة على وجوده ، فقد علمته الصحراء الشجاعة والكفاح والصبر والجلد من أجل الدفاع عن النفس ، فقد ساد في عصره قانون الغاب ، فالقوي يأكل الضعيف ، وأصبح الصعلوك وكأنه يطبق بذلك حرفية المقولة التي تذهب إلى أن " الغاية تبرر الوسيلة " .

وعلى الرغم من ذلك فقد وصلت إلينا مجموعة كبيرة من أشعار الصعاليك ، وقد توزعت بين كتب اللغة والأدب القديمة كالأغاني ولسان العرب ، وجمهرة أشعار العرب ، والمفضليات ، والأصمعيات وكتب الحماسة ، وقد وصلت إلينا عن طريق قبائلهم أو عن طريق القبائل التي استجاروا بها ، أو عن طريق الصعاليك أنفسهم الذين كانوا يروون أنفسهم وخاصة عروة بن الورد ، فمن خلال هذه الكتب سنعرض لشعرهم الذي يعبر عن حياتهم وتفكيرهم وسلوكهم بأصدق الألفاظ وأدق المعاني .

ويبقى الشعر الذي ينسب إلى الصعاليك غيضاً من فيض ورمزاً للأسرار حياتهم تكمن فيه طموحاتهم وآمالهم وآلامهم وشاهداً أميناً على جزء من معاناتهم في صراعهم من أجل حياة كريمة في ظل احتدام الضغوط القبلية والاجتماعية فحين نطلع على أشعارهم نجد ظاهرة شعرية لا تتم على أن أصحابها مجرد صعاليك ، ولكنهم يمثلون فئة اجتماعية مستتيرة راعتها المظالم الاجتماعية والتجاوزات القبلية ، فأعلنت ثورتها وتمردتها على بعض تلك القيم الجائرة ، مثل استفحال ظاهرة الغني والفقير ، وما يترتب على ذلك من مظالم ، في ضوء ما ظهر في المجتمع الجاهلي ، من صراع طبقي وعرفي ولو على مستوى ضيق نسبياً ، ومن ثم صور هؤلاء

الشّعراء تلك الأوضاع السّائدة ، برغم ما اكتنف هذا التّصوير من مبالغة وتطرف ، وما أضفوه من أخيلة مجنحة أحياناً ^(١) .

ومن هذا المنطلق فإنّ البحث تناول الاغتراب في شعر الصّاعليّك بالدراسة الموضوعية للكشف عن موضع الغربة في شعرهم ، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون ومقدّمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة ، ومسرد بالمصادر والمراجع ، تناولت في المقدمة الظروف الصّعبة التي عاشها الصّعلوك في العصر الجاهلي ، حيث قسوة الطّبيعة وقلة الزّاد والنّفاوت الطّبيعي وما يولده من تفاوت يشعره بالدونية ، وقد يضطر أحياناً للتّعامل مع قومه بكلّ عنف للمحافظة على وجوده .

وقد توجه البحث في مبحثه الأوّل إلى تناول ظاهرة الصّعلكة وأسبابها ، ومسبباتها ، وأبرز شعرائها .

وتضمّن المبحث الثّاني الغربة والاغتراب في شعر الصّاعليّك متمثلاً بتعريف الغربة والاغتراب لغة واصطلاحاً ، والدّوافع إلى امتهان الصّعلكة حيث الإحساس بالاغتراب فقد سجل الصّعلوك هذا الإحساس في قالب شعري معبّر ، إنّها صرخة شعرية أطلقها الصّاعليّك لإحساسهم بالغربة في الحياة عامّة ، وفي محيطهم الاجتماعي خاصّة ، وتطرّقت إلى أبرز الشّعراء الصّاعليّك ، منهم : عروة بن الورد - الشّنفري - تأبط شرّاً .

وتناول المبحث الثّالث غربة النّفس حيث اغتراب الصّعلوك وتحوّله من الجماعة إلى الذات المفردة ، فقد تتنوع أسباب الغربة النّفسية وتتعدّد لعوامل شتى متباينة منها : عقدة اللّون ، وهموم حيوية عامّة ، والواقع الاجتماعي ، وما ينضوي تحته من تفاصيل .

فالشّعراء الصّاعليّك قد اجترحوا سبلاً يسلكونها بسبب الضّغوط النّفسية والقبلية والاجتماعية العامّة المحيطة بهم .

^١ - جدلية القيم في الشعر الجاهلي : د. بو جمعة بعيو ، ص ٣٥ .

كما تناول غربة الرأي والهمة والفعل والصراع بين الصعلوك وما هو مشاع من آراء في المجتمع القبلي حصيلة الانسلاخ عن القوم بمحض إرادته ليتسور حدود القبيلة إلى الخارج لتحقيق ذاته ، سائحا في الفلوات .

كما أوضحت أن الانتزاع من أجل مقومات الحياة الذي التجأ إليه الشعراء الصعاليك بسبب الفقر الذي أساسه البيئة والنفوذ القبلي ، وما ترتب على الفقر من آثار تجلّت بالجوع والحرمان والحالة المزرية والمذلة مما دعا الشعراء الصعاليك إلى الاغتراب وسلوك طرائق مختلفة كي يقيموا معادلة صعبة في موازنة لا تكاد تفي بالغرض المنشود .

ظاهرة الصعلكة أسبابها ومسبباتها :

مادة الصعلكة من حيث اللغة تعني في معناها العام الفقر ، وما له من علاقة بالعوز والحرمان . فقد ورد في لسان العرب والقاموس المحيط : تصعلك الرجل إذا افتقر ، قال حاتم الطائي :

غنيّا زماناً بالتصعلك والغنى وكلاً سقناه بكأسيهما الدهر
فما زادنا بغياً على ذي قرابة غنائاً ولا أزرى بأحسابنا الفقر

والتصعلك : وصعاليك العرب : ذؤبانها . وكان عروة بن الورد يسمى عروة الصعاليك لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغنمه (١) .

ويبدو أن الصعلكة لا تغني الفقر وحسب ، ولكنها فقر يدفع الإنسان دفعا إلى الغزو والغارة وتقليد الذئاب في أساليب حياتها وفي ذلك يقول د. جواد علي : " الصعاليك هم قوم خرجوا على طاعة بيوتهم وعشائرهم وقبائلهم ، ولأسباب كثيرة ، منها عدم إدراك أهلهم أو قبيلتهم نفسياتهم ... مما سبب نفورهم منهم ، وخرجهم على الطاعة ، والعيش عيشة الذؤبان ، معتمدين على أنفسهم في الدفاع عن حياتهم وجمع قوتهم من الإغارة على أطراف القبائل وبالنهاية هم قوم متمردون لا تستطيع

^١ - لسان العرب : ابن منظور ١٢ / ٣٤٢ مادة (صعلك) القاموس المحيط : الفيروز أبادي ٣ / ٣١٠ .

وانظر الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي : يوسف خليف ، ص ١٩ .

وضعهم تحت القانون ، لأنهم يرون أنفسهم فوق هذا القانون ، فحب المغامرة ، وإثبات الشخصية من أسباب الصّعلكة في الجاهلية (١) .

فقد أقاموا مجتمعاً خاصاً عرف بهذا الاسم ، وأصبح له شعراؤه وزعماءه ، وكانوا يغيرون على البدو والحضر فيسرعون في النهب لذلك يتردد في شعرهم صيحات الجزع والفقر والثورة ويمتازون بالشجاعة والصبر وسرعة العدو .

ومعنى هذا أن الصّعلكة لها معنيان : معنى لغوي يدل على الفقر وقلة ذات اليد ومعنى سلوكي يدل على الإغارة والتفرغ لها ، ومن يستقصي أخبار الصّعاليك وأشعارهم يجدها تعني عناية خاصة بتسجيل أخبار فقرهم وما سببه لهم هذا الفقر من تشرد وضياح ، فضلاً عن الدلالة الاجتماعية التي لها علاقة بالوضع الاجتماعي الذي يحياه الصّعلوك في ظل مجتمعه ومن ثم تفرض عليه أن يسلك أسلوباً معيناً في حياته الخاصة كرد فعل لما لحقه من ضيم وهوان .

وعلى الرغم من اختلاف الدوافع إلى امتهان الصّعلكة وتعدّدها فإن أهم العوامل المساعدة على تفشيها هو الوضع الاجتماعي والاقتصادي الذي يحياه الصّعلوك في مجتمعه القبلي الذي لا يخلو من قيم جائرة وتعسف يؤثر في بناء العلاقات الاجتماعية التي تميّز بين أبناء القبيلة الواحدة ، فإما أن يرضى هذا الفرد بما يفرض عليه من ذل وحرمان وجوع أحياناً وإما أن يثور على ذلك الواقع الصّعب ، ويرفض تلك القيم ، وبذلك فقد اختار هؤلاء الصّعاليك الذين أبوا الاستسلام لقانون القبيلة العام سبيلهم الذي يمثل خلايا ثورية جعلتهم يتمركزون في قواعد ويرسمون خطاً لتحقيق رغباتهم وأهدافهم معتمدين على مبدأ القوة والسلب والنهب (٢) .

ومن هنا نقشت هذه الظاهرة التي كان لها الأثر الفاعل في المجتمع القبلي ، حيث التميز الطبقي الذي خضع لقوانين ذلك المجتمع ، فقد علل الدارسون الذين عنوا

١ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : د. جواد علي ٩ / ٦٠١ - ٦٠٢ .

٢ - عروة بن الورد حياته وشعره : إبراهيم شحادة الحواجة ، ص ١٧ .

بالصّعاليك وشعرهم نشوء تلك الظاهرة بأنها تمثّل احتجاجاً صارخاً على التمييز الطبقي ، وسوء توزيع الثروات كما عللوا - فضلاً عن ذلك - بكونها تسعى إلى مساعدة الفقراء المستضعفين وتتوعد المترفين الذين كونوا ثرواتهم الطائلة بطرق ملتوية حتى إن بعض هؤلاء الدارسين يجعلونها أقرب إلى الاشتراكية الحديثة (١) .

وقد اجتهد الشعراء الصّعاليك ليجعلوا من الصّعلكة مهنة اقتضتها ظروف الحياة البائسة التي عاشوها في ذلك العصر ، ويبدو أنهم راحوا يبتغون المال بشتى الوسائل ، ليس حباً في المال لذاته ، ولكن لأن المال يمكن لصاحبه ضمان مستوى معيشي كريم .

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا كله أن فرّ هؤلاء الصّعاليك من مجتمعهم النظامي ليقوموا لأنفسهم مجتمعاً فوضوياً شريعته القوة ، ووسيلته الغزو والإغارة ، وهدفه السلب والنهب ، ووجدوا في الصحراء الفسيحة الواسعة التي لا تقيدهم قيود ، ولا تحد من حريتها حدود ، ولا يستطيع قانون أن يخترق نظامها ليفرض سلطانه عليها مجالاً لا حدود له ويمارسون فيه نشاطهم الإرهابي ، وقيمون دولتهم الفوضوية دولة الصّعاليك ، حيث يحيون حياة حرة متمردة ، تسودها العدالة الاجتماعية وتتكافأ فيها فرص العيش أمام الجميع (٢) .

ويبدو أن عرى العلاقة الاجتماعية قد انفصمت بين الصّعاليك ومجتمعهم الكبير ، فقد وجدوا في علاقاتهم الجديدة داخل مجتمع الصّعاليك ما يعرضهم عن هذا الانقسام ، كما وجدوا في كل دائرة منها دائرة المجتمع الكبير ، ودائرة المجتمع المتصعلك بالكرم ، فقيل في الأمثال : " كل صعلوك جواد " (٣) وهو جود يدخل في باب لإسراف ويشعرهم بالتفوق ، ويخلصهم من مشاعر الدونية والنقص (٤) .

١ - الفروسية في الشعر الجاهلي : نوري حمودي القيسي ، ص ٣١٢ .

٢ - الشعراء الصّعاليك في العصر الجاهلي : يوسف خليف ، ص ٥٥ .

٣ - مجمع الأمثال : الميداوي ٢ / ١٥٩ .

٤ - ينظر ، دراسات في الأدب الجاهلي : د. عبد العزيز نوري ، ص ١٦٦ .

إن الصّعلكة ظاهرة اجتماعية إنسانية لها أسبابها ومسبباتها ، ولكن ما يلفت الانتباه حقاً هو أن هؤلاء الصّعاليك الذين جمعوا بين السيف والقلم وجمعوا أيضاً بين التشرد في القفار والفيافي ، وعبروا عن ذلك التشرد بطرق فنية وصور شعرية تنم عن قدرة فنية ، ورؤية اجتماعية نقدية ، قد لا نجد مثيلاً لها في شعر كثير من الشعراء الفرسان الذين عاصروا هؤلاء الصّعاليك ^(١) .

ومن هنا يبدو لنا أن ظاهرة الصّعلكة ظاهرة قديمة ظهرت في العصر الجاهلي ، وترتبط بالتمرد والخروج عن القبيلة فالشاعر الصّعلوك حين ينفصل عن قومه يهجرهم ويؤثر على رفقتهم الوحوش في البراري ، ويعتقد في قرارة نفسه أن قومه خانوه حينما خلعوا عنه الحماية وتركوه طريداً شريداً ومن هنا يتولد لديه روح الانتقام وقد أكد د. يوسف خليف أن " الخلاء والشاذ فقد تخلت قبائلهم عنهم وسحبت منهم (الجنسية القبلية) فكان من الطبيعي أن يفقدوا إيمانهم بكل معاني القبيلة ، وأن يكفروا بتلك العصبية القبلية التي لم يعد لها قيمة في حياتهم ، بل قد ينقلبون انقلاباً تاماً ، فتصبح صلتهم بقبائلهم صلة عداوة ، فيوجهون غزواتهم إليها " ^(٢) ، ومن هنا نستنبط ما يوجب الإحساس بالاغتراب ، فقد سجلوا هذا الإحساس في قالب شعري معبر ، إنها صرخة شعرية أطلقها الصّعاليك لإحساسهم بالغربة في الحياة عامة ، وفي محيطهم الاجتماعي خاصة .

أبرز شعرائها :

في البداية يمكننا إعطاء تعريف للصّعلوك :

الصّعلوك لغة واصطلاحاً ^(٣) هو الفقير الذي يتخذ من اللّصوصية وقطع الطريق وسيلة للكسب ، بعد أن خلعتة قبيلته أو بعد أن خرج على عُرف الجماعة .

^١ - جدلية القيم في الشعر الجاهلي : د. بو جمعة بعبو ، ص ٧٣ .

^٢ - الشعراء الصّعاليك في العصر الجاهلي : يوسف خليف ، ص ١١٦ - ١١٧ .

^٣ - مادة صعلك في المعاجم اللغوية . الشعراء الصّعاليك في العصر الجاهلي : يوسف خليف ، ص ٢١ وما بعدها ، حيث استقصى " الصّعلكة " في اللغة والاستعمال الأدبي

ولم تقف هذه اللفظة في الجاهلية عند دلالتها اللغوية الخالصة ، فقد أخذت تدل على من يتجردون للغارات وقطع الطرق ، ويمكن أن نميز فيهم ثلاث مجموعات ، مجموعة من الخلاء الشاذ الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائمهم مثل حاجز الأزدي وقيس بن الحداية وأبي طمحان القيني ، ومجموعة من أبناء الحبشيات السود ممن نبذهم آبائهم ولم يلحقوهم بهم لعار ولادتهم مثل السليك بن السلكة وتأبط شراً والشنفرى وكانوا يشركون أمهاتهم في سوادهم فسموا هم وأضرابهم باسم أغربة العرب ، ومجموعة ثالثة لم تكن من الخلاء ولا أبناء الإماء الحبشيات غير أنها احترفت الصلعة احترافاً ، وحينئذ قد تكون أفراداً مثل عروة بن الورد العبسي ، وقد تكون قبيلة برمتها مثل قبيلتي هذيل وفهم اللتين كانتا تنزلان بالقرب من مكة والطائف على التوالي (١) .

وهناك من الشعراء وغير الشعراء من كان فقيراً - وما أكثرهم في مثل هذه البيئة الصحراوية ولكنه لم يكن صعلوكاً وهناك من أبعد عن قبيلته مثل طرفة بن العبد ولكنه لم يتصعلك وله أبيات يشكو فيها آلام الغربة إذ يقول في إحدى قصائده (٢):

وَلَا غَرَوَ إِلَّا جَارِيَّ وَسْوَئُهَا أَلَا هَلْ لَنَا أَهْلٌ سُلِّتَ كَذَلِكَ (٣)
تُعَيِّرُ سِرِّي فِي الْبِلَادِ وَرِحْلَتِي أَلَا رَبُّ دَارٍ لِي سِوَى حُرِّ دَارِكِ (٤)

ويقول في معلقته :

لِي أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا وَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ الْبَعْرِ الْمَعْبُدِ (٥)

ويظهر لنا أن طرفة بن العبد جاب الممالك وطاف في الآفاق طمعاً في الوصول إلى حال أحسن من الحال التي كان عليها في ديار قومه ، فلم يظفر بغير الاغتراب المضني ، والشقاء الواجب ، والحسرات الحارة ، يصعدها من نفس مكتئبة

١ - العصر الجاهلي : د. شوقي ضيف ، ص ٣٧٥ .

٢ - طرفة بن العبد : حياته وشعره ، د. محمد علي الحاشي ، ص ٥٠ .

٣ - لا غرو : لا عجب . سلت كذلك : دعاء عليها بالغربة ، أي صيرك الله غريبة مثلي ، تسألين كذلك

السؤال .

٤ - حر الدار : وسطها وأكرمها .

٥ - المعلقة ، ص ٥١ - ٥٢ . المعبد : المطلي بالقطران .

حزينة ، برح بها الحنين للأهل والديار ، ومنهم من واجه مرارة التفرقة ، بسبب لونه الأسود كعنتره بن شداد ولكنه لم يتصعلك .

ويبدو أن لونه الأسود جعله يسقط اللون وعقدته قائمة متداخلة في تفاصيل الحياة من خلال ما يورده ليوحى لنا أن ما حوله يميل إلى السواد ، وإن الموجودات لا تخلو من سواد ليخلق تجانساً بين لونه وما موجود في الطبيعة ، وقد أطلق اللون الأسود حتى على الحيوانات كما في قوله :

فِيهَا اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً سَوْدًا كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الْأَسْحَمِ (١)

ويلتجئ عنتره إلى السفع السواده ينجيه ويشكو له بالرغم من كون الأثافي لا يمكن أن تغيبه ، فيقول :

وَلَقَدْ حَبَسْتُ بِهَا الْمَطِيَّ طَوِيلًا نَاقِي أَشْكُو إِلَى سُفْعِ رَوَاكِدِ جُثْمِ (٢)

من هنا برزت صورة عنتره الفارس الذي دوخ الأقران والأبطال في حروب داحس والغبراء ، وبذلك غسل مذمة ولادته ولونه وفلج شفثيه ، وقد طارت شهرة عنتره بالفروسية والشجاعة النادرة ، فقد خط سطور فلسفته بحد سيفه ، حيث اتخذ من مبدأ القوة طريقاً له ، بعد أن أدرك ألا خيار له إلا أن يجرد حسامه ، ليخرس السنة المتبجحين بسواد لونه الطاعنين في نسبه (٣) .

إِنْ كُنْتُ فِي عَدَدِ الْعَبِيدِ فَهَمَّتِي فَوْقَ الثَّرَيَّا وَالسَّمَاءِ الْأَعَزَلِ
أَوْ أَنْكَرْتُ فُرْسَانُ عَبَسَ نِسْبَتِي فَسِنَانُ رُحْمِي وَالْحُسَامُ يُقْرِئِي
وَبِدَائِلِي وَمُهَنْدِي نِلْتُ الْعُلَا لَا بِالْقَرَابَةِ وَالْعَدِيدِ الْأَجَزَلِ

ونحن بصدد دراسة أهم وأشهر الشعراء الصّاعليّك ومنهم :

١. عروة بن الورد :

ينتمي عروة بن الورد إلى قبيلة عبس ، فهو عروة بن الورد بن زيد ، وقيل بن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هريم بن لديم بن عوذ بن غالب بن قطيعة

^١ - ديوان عنتره بن شداد ، ص ١٨٩ .

^٢ - المصدر نفسه ، ص ١٨٣ .

^٣ - القيم التبروية في الشعر العربي القديم : أ أحمد جهان الفورتية ، ص ١٣٢ .

بن عبس ، شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها وصلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجواد ، وكان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ولم يكن لهم معاش ولا مغزى ، وقيل بل لقب عروة الصعاليك لقوله (١) :

لَحَى اللَّهُ صُعْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِي الْمَشَاشِ أَلْفًا كُلَّ مَجْزَرٍ
يُعْدُّ الْغَنَى مِنْ دَهْرِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُيَسَّرٍ
وَلَكِنَّ صُعْلُوكًا صَفِيحَةً وَجْهَهُ كَضَوْءِ شَهَابِ الْقَابِسِ الْمُتَنَوِّرِ (٢)

ولد عروة بن الورد لأب عبسي وأم نهديّة ، أما والده العبسي فكان فارساً من فرسان قبيلته ، وكان ممن تتشاعم بهم قبيلته ، لأنه هو الذي أوقع الحرب بينها وبين فزارة بمراهنته حذيفة ، وأما أمه فكانت من بني نهد من قضاة ، من غير ذوي الأنساب المشهورة ، ولذلك كانت سبباً من أسباب شقائه دون أن تجني ذنباً وقد أحس عروة بضعف نسبه لأمه النهديّة فتألم لذلك تألماً شديداً وقال :

لَا تَلُمَّ شَيْخِي فَمَا أَدْرِي بِهِ غَيْرَ أَنْ شَارَكَ نَهْدًا فِي النَّسَبِ
كَانَ فِي قَيْسٍ حَسِيبًا مَاجِدًا فَأَتَتْ نَهْدٌ عَلَى ذَلِكَ الْحَسَبِ (٣)

وهو يهجو أخواله لأنهم ينتمون إلى قبيلة نهد اليمنية التي كانت أقل شرفاً من عبس ، ويبدو أنه دفع إلى هجاء أخواله دفعاً بعدما عيره أبناء قومه بانتسابه إلى أم غريبة (٤).

هُمَ عَيَّرُونِي أَنَّ أُمِّي غَرِيبَةٌ وَهَلْ فِي كَرِيمٍ مَاجِدٍ مَا يُعِيرُ (٥)
ويبدو أن عروة أحس في أعماقه بعار من قبل أمه لا يمحي إذ يقول :
مَا بِي مِنْ عَارٍ إِخَالَ عِلْمَتُهُ سِوَى أَنَّ أَخَوَالِي إِذَا تُسِبُّوا نَهْدُ (٦)

١ - الأغاني : الأصفهاني ٣ / ٧٢ .

٢ - ديوان عروة بن الورد والسموأل ، ص ٣٧ .

٣ - المصدر نفسه ، ص ١٨ .

٤ - عروة بن الورد حياته وشعره : إبراهيم شحادة الخواجة ، ص ٦٣ - ٦٦ .

٥ - ديوان عروة بن الورد والسموأل ، ص ٤٠ .

٦ - ديوان عروة بن الورد ، ص ٢٦ . نهد : قبيلة يمنية .

فهي عاره ، الذي حلت البلية عليه منه ، والذي دفعه دفعاً إلى الثورة على الأغنياء ، وهي ثورة كما يقول د. شوقي ضيف كانت مهذبة ، إذ لم يتحول إلى سافك دماء ولا إلى متشرد يرود مجاهل الصحراء ، فقبيلته لم تخلعه ، بل ظل ينزل فيها مرموق الجانب لسيرة كانت تروّع معاصريه ومن جاءوا بعدهم ، إذ اتخذ من صلوكته باباً من أبواب المروءة والتعاون الاجتماعي بينه وبين فقراء قبيلته وضعفائها ^(١) ، فقد ورد في الأغاني أنه إذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف ، وكان عروة بن الورد يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدة ثم يحفر لهم الأسراب ويكنف عليهم الكنف ويكسبهم ، ومن قوي منهم - إما مريض يبرأ من مرضه أو ضعيف تثوب قوته - خرج به معه فأغار وجعل لأصحابه الباقيين في ذلك نصيباً ، حتى إذا أخصب الناس وألبنوا وذهبت السنة ألحق كل إنسان بأهله ، وقسم له نصيبه من غنيمة إن كانوا غنموها ، فربما أتى الإنسان فهم أهله وقد استغنى فلذلك سُمي عروة الصّاعاليك فقال في ذلك بعض السّنين وقد ضاق حاله ^(٢) .

لَعَلَّ انْطِلَاقِي فِي الْبِلَادِ وَبُعَيْتِي وَشَدَي حَيَازِمِ الْمَطِيَّةِ بِالرَّحْلِ ^(٣)
سَيَدْفَعُنِي يَوْمًا إِلَى رَبِّ هَجْمَةٍ يُدَافِعُ عَنْهَا بِالْعُقُوقِ وَبِالْبُخْلِ ^(٤)

يتضح لنا أن عروة بن الورد سيد الصّاعاليك الذي كانوا يلجؤون إليه كلما قست عليهم الحياة ، ليجدوا عنده مأوى لهم حتى يستغنوا ، كان صعلوكاً فقيراً مثلهم ^(٥) ، كما يذكر الرواة ذلك ، ويبدو أنه تمرد وأعلن ثورته على القيم الجائرة في مجتمع ظالم ظهرت فيه المظالم الاجتماعية والتجاوزات القبلية ، مما جعله يسن

١ - العصر الجاهلي : د. شوقي ضيف .

٢ - الأغاني : الأصفهاني ٣ / ٧٨ .

٣ - الحيازيم : واحدها الحيزوم وهو الصدر أو وسطه .

٤ - الهجمة من الإبل : العدد العظيم منها لا يبلغ المائة .

٥ - الشعراء الصّاعاليك في العصر الجاهلي : يوسف خليف ، ص ٢٨ .

قواعد الصلابة ويتبع أسلوب النهب والسلب ، والكر والفر على الأثرياء من القوم ؛
ليصل إلى طريق توزيع الثروات توزيعاً عادلاً على الفقراء والمحرومين ، فيقول :

خاطرِ بنفسِكَ كَي تُصِيبَ غَنِيمةً إِنَّ الْقُعُودَ مَعَ الْعِيَالِ قَبِيحُ
المالُ فِيهِ مَهَابَةٌ وَتَجَلَّةٌ وَالْفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَفُضُوحُ ^(١)

وتكثر في شعره أحاديث فقره ، وما يعانيه من حرمان ، وما يتكبد في سبيل
الغنى من جهد ومشقة ، وما يشعر به من ثقل التبعة التي يتحملها إزاء أهله ، وإزاء
أصحابه الصعاليك ، فيقول :

فسر في بلاد الله والتمس الغنى تَعَشْ ذا يسارٍ أو تموت فتعذرا ^(٢)

ويتمادى في تمثيل حياته بشعر نابض بالحياة ، ونلمح صورة معبرة عن
معاناة صادقة ، توحى بواقع مؤلم مثير .

ويبدو أن عروة بن الورد خبر الحياة وتمرس بتجاربها ولمس التفاوت
الطبقي الذي تفشى في المجتمع الجاهلي من حيث نوعية الحياة المادية التي يعيشها
كل من الأغنياء والفقراء ، ناهيك عن طبيعة المعاملة الاجتماعية التي يحظى بها كل
منهم ، لهذا نراه يتمرد وينقد تلك الظروف التي تؤلمه لأنها تحط من قدر الفقير مهما
عظمت أعماله وحسنت أفعاله ، وتجعله ذليلاً لا شأن له بين طبقة الأغنياء والمترفين
الذين يحتفظون بمنزلتهم مهما انحط سلوكهم وتعددت رذائلهم ، لا لشيء إلا لأن
المجتمع يغض الطرف عن هفواتهم وسقطاتهم ، ويرفع مكانتهم ويستتر عوراتهم
بحكم ما لديهم من أموال تغطي هذه الرذائل فهو يلخص موقفه ويشرح الأسباب التي
جعلته ينتهز الفرصة لتحصيل المال بأي طريقة حتى يتمكن من إقامة توازن حياتي
يقه شر الوقوع في حياة العوز والحرمان ، فيقول : ^(٣)

دَعِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ
وَأَبْعَدُهُمْ وَأَهْوَاهُمْ عَلَيْهِم وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسَبٌ وَخَيْرُ

^١ - ديوان عروة بن الورد ، ص ٢٤ .

^٢ - المصدر نفسه ، ص ٤٤ .

^٣ - المصدر نفسه ، ص ٤٥ .

وَيُقَصِّيه النَّدِيَّ وَتَرْدَرِيه
وَيُلْفِي ذُو الْغَنَى وَلَهُ جَلَالٌ
قَلِيلٌ ذَنْبُهُ وَالذَّنْبُ جَمٌّ
وَلَكِنْ لِلْغَنَى رَبٌّ غَفُورٌ
حَلِيلُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
يَكَاذُ فُؤَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ

والواقع أن الأمر لا يقتصر على المظاهر الاجتماعية ، ونوعية العلاقة التي تحكم الصّاعليك بمجتمعهم ولكنه يمثل صراعاً فعلياً فالشاعر يضرب على نفسه عهداً ألا يرضى بحياة الفقر والذل له ولعِياله فإما أن يحيا حياة كريمة ، وإما أن يموت دون ذلك .

لقد مثل شعر عروة بن الورد تمرداً فردياً حيناً وجماعياً حيناً آخر في مناهضته لعدم المساواة في توزيع الثروة والأرزاق بين الناس فهو يتساءل عن الأسباب التي جعلته يتصور جوعاً ، في حين ينعم غيره بما لذ وطاب من رغد العيش . من هنا نشأ لديه إحساس بضرورة محاربة هؤلاء المترفين وأخذ ما لديهم اعتقاداً منه أن هذه الخيرات حق مشاع للجميع ، وليست لأفراد دون غيرهم ممن لا يكادون يمتلكون ما يسدون به الرمق .

من هنا نجد شعره يصور حياة الفقر والحرمان ويدعو إلى نشر العدالة الاجتماعية بين الأفراد والجماعات فيقول (١) :

إِنِّي امْرُؤٌ عَافٍ إِنَائِي شِرْكَةٌ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ عَافٍ إِنَائِكَ وَاحِدٌ
أَتَهْزَأُ مَنِّي أَنْ سَمَنْتَ وَأَنْ تَرَى
بِوَجْهِي شُحُوبَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ جَاهِدُ
أَقْسَمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ
وَأَحْسُو قَرَاخَ الْمَاءِ وَالْمَاءُ بَارِدُ

إنه يؤمن أن الفقر يحدث شرخاً اجتماعياً وخطلاً معيشياً في حياة الإنسان ويؤكد أن الحياة تفقد طعمها في ظل الفقر والعوز لذلك نراه يبذل قصارى جهده لتحصيل المال الذي يسد به حاجة الفقراء من أبناء عشيرته .

١ - ديوان عروة بن الورد ، ص ٢٩ .

وهذه الأبيات هي التي من أجلها قال عبد الملك بن مروان : ما يسرني أن أحداً من العرب ممن ولدي ، لم يلدي إلا عروة بن الورد (الأغاني : الأصفهاني ٣ / ٧٣) .

لذلك كان موقفه من الفقر دافعاً لثورته وتمرده ، إذ حاول أن يعيد التوازن بين الطبقات الاجتماعية ، ووقف ضد الطغاة والموسرين الذين جمعوا ثروات طائلة واستأثروا بها دون غيرهم ^(١) ، فقد ورد أن رجلاً بلغ من الثراء شأواً عظيماً وهو ينتمي إلى قبيلة كنانة في خزيمة وكان بخيلاً على سعة ثروته ، فبلغ ذلك عروة فأغار على إبله واستاقها ثم قسمها في قومه ، وفي ذلك يقول ^(٢) :

ما بِالْثَرَاءِ يَسُودُ كُلُّ مُسَوِّدٍ	مَثَرٌ وَلَكِنْ بِالْفِعَالِ يَسُودُ
بَلْ لَا أَكْثَرُ صَاحِبِي فِي يُسْرِهِ	وَأَصْدُ إِذْ فِي عَيْشِهِ تَصْرِيدُ
فَإِذَا غَنِيَتْ فَإِنْ جَارِي يَلِيهِ	مِنْ نَائِلِي وَمَيْسَرِي مَعُودُ
وَإِذَا افْتَقَرْتُ فَلَنْ أَرَى مُتَخَشَعاً	لَأَخِي غَنَى مَعْرُوفُهُ مَكْدُودُ

فهو يفصح عن كرهه للبخلاء لاسيما الذين بلغوا مستوى من الثراء الفاحش على حساب الفقراء والمعوزين ، وهنا يبرز الجانب الاجتماعي والإنساني في شعره مما جعله يتبوأ مركز الأب الروحي للصعاليك ، فهو يوزع الغنائم بين الفقراء ، ويكرم الضيف ويمنحه فراشه وفي ذلك من النبل والكرم ما يؤهله لأن يكون جديراً بتلك المكانة التي حظي بها ، فيقول ^(٣) :

فِرَاشِي فِرَاشُ الضَّيْفِ وَالْبَيْتُ بَيْتُهُ	وَلَمْ يُلْهِني عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعٌ
أُحَدِّثُهُ إِنْ الْحَدِيثَ مِنَ الْقَرَى	وَتَعْلَمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ

ويبدو أن عروة بن الورد ظل مسكوناً بالتشبه بالسادة والأغنياء في البذل والعطاء واكتساب المحامد من هنا كان طلب الغنى عنده ليس هدفاً في ذاته ولكنه وسيلة للكرم وقضاء الحقوق والتشبه بالسادة ^(٤) .

ويظهر أنه يسعى ويطلب من زوجه أن تتركه يحقق أمانيه ويصل إلى مبتغاه في الحصول على المال ليطعم الأرامل واليتامى ، وكل ذلك قصد التخفيف من

١ - يُنظر عروة بن الورد حياته وشعره : د. إبراهيم شحادة ، ص ١٠٣ .

٢ - ديوان عروة بن الورد ، ص ٢٧ . تصريد : تقطيع . ميسري : الميسر ، من يسره له : سهله ووقفه له .

معروفه مكدود : أي أن عطاءه يخرج منه بجهد لبخله .

٣ - ديوان عروة بن الورد ، ص ٤٩ .

٤ - ينظر : الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي : يوسف خليف ، ص ٣٩ .

المعاناة النفسية التي يعاني منها ، فهو يتخذ من شعوره المرهف فرصة لإثبات الوجود أمام هذا الفقر الذي يعاني منه فيقول مخاطباً زوجه (١) :

دَعَيْني أَطُوفُ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي أَفِيدُ غِنًى فِيهِ لِذِي الْحَقِّ مُحْمِلُ
أَلَيْسَ عَظِيماً أَنْ تُلِمَ مُلِمَةً وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْحُقُوقِ مُعَوَّلُ
فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَمْلِكْ دِفَاعاً بِحَادِثٍ تُلِمُ بِهِ الْأَيَّامُ فَالَمُوتُ أَجَلُ

ويظهر أنه اختار عالم الصّعلكة أسوة بغيره من الشعراء الفرسان الصّاعليين ليعيد اعتباره وإثبات ذاته ، وحتى يوطن نفسه على بلوغ هدفها بنيل المعالي والحياة الكريمة خاصة أن نفس الشاعر جبلت على حب المعالي وركبت المخاطر والأهوال قصد بلوغ غايات سامية ، والحق أن عروة كان صعلوكاً شريفاً ، وأنه استطاع أن يرفع الصّعلكة وأن يجعلها ضرباً من ضروب السيادة والمروءة ، إذ كان يستشعر في قوة فكرة التضامن الاجتماعي وما يطوى فيها من إيثار وبر بالفقراء ، فهو لا يسعى لنفسه فحسب ، وإنما يسعى قبل كل شيء للمعوزين من عشيرته حتى يدفع عنهم كل ما يجدون من بؤس وشقاء ، ولهذا يمكن تسميته النائر المتمرد قائد ثورة الجياع في زمانه ، فقد عاش ومات وقد سجل اسمه رغم أنف الدهر في سجلاته المترامية الأطراف ، ولا يستطيع أحد أن ينساه أو يتجاهله فقد حظي بإعجاب مختلف طوائف الناس من أمير أو خفير حتى أن عبد الملك بن مروان قال في حقه : " من زعم أن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد " (٢) ، ولم يكن عروة فارساً صعلوكاً جواداً فحسب ، وإنما كان كذلك من شعراء العرب المعدودين ، حتى أن قومه بني عبس كانوا يأتون بشعره ، ورد أن " عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للحطياة : كيف كنتم في حربكم ؟ قال : كنا ألف حازم ، قال : وكيف ؟ قال : كان فينا قيس بن زهير وكان حازماً وكنا لا نعصيه ، وكنا نقدم إقدام عنتره ، ونأتم بشعر عروة بن الورد ، وننقاد لأمر الربيع بن زياد " (٣) .

١ - ديوان عروة بن الورد ، ص ٦٢ .

٢ - الأغاني : الأصفهاني ٣ / ٧٣ .

٣ - ديوان عروة بن الورد ، ص ٩ .

وبعد فهذا التصوير للصعلة في مبادئها ، وأبرز شعرائها وتفصيل موجز عن نشأته ومدى ارتباط صعلكته بالفقر والغنى ، ويبدو أنه يرى في الغنى وسيلة من وسائل الشرف ، لأنه يغني عن التسول والإذلال للنفس بالطلب من الناس ، وربما كان الصراع بين القبائل في الجزيرة العربية يرجع في حقيقته إلى ظاهرة الفقر والغنى كأصل لا يمكن إنكاره حتى بزغ فجر الإسلام النظام الخالد الذي أنقذ البشرية من وثنياتها ، وأخرجها من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام ، ووضع ميزاناً عادلاً ينصف الفقراء من الأغنياء حتى أن الفقراء جعل لهم ركناً من أركان الإسلام لإصلاح الجانب الاجتماعي والاقتصادي وعلاج مشكلة الفقر عملياً ، ورسولنا الكريم ﷺ يوضح سبب أخذ الزكاة من الأغنياء وذلك عندما أرسل معاذاً والياً على اليمن ، وقال له : (وأخبرهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) (١).

إن الإسلام الخالد نادى بإنصاف هؤلاء الفقراء والمساكين والمحتاجين بأنواره الكريمة وإشراقاته الرحيمة ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢).

٢. الشنفرى *

اسمه ونسبه :

ثابت بن الأوس الأزدي ولقب بالشنفرى لعظم شفتيه وقد سبت بنو سلامان الشنفرى وهو غلام فجعله الذي سباه في بهمه يرعاها مع ابنة له ، وهو أحد صعاليك العرب وعدائها (٣).

أسره واسترقاقه :

من الثابت تاريخياً وأدبياً أن الشنفرى قد وقع في السبي وبيع لسيد من بني سلامان ، وقد ورد خبر أسره واسترقاقه في معظم مصادر الأدب وقد أورد أبو

١ - ينظر ، الشنفرى شاعر الصحراء الأبي : محمود حسن أبو ناجي ، ص ٣٤ - ٣٥ .

٢ - سورة التوبة : آية ٦٠ .

* الشنفرى (عمرو بن مالك توفي نحو سنة ٧٠ ق. هـ / نحو ٥٢٥ م .

٣ - ينظر ، الأغاني : الأصفهاني ٢١ / ١٨٥ . المفضليات : المفضل الضبي ، ص ١٩٤ .

الفرج الأصفهاني في أغانيه " أن بني سلامان سبت الشنفرى وهو غلام " كما أورد المفضل الضبي في مفضلياته " أن الشنفرى وأمه قد وقعا في فهم وأن الأزد قد قتلت رجلاً فهم في خفرة رجل يقال له الحارث بن السائب الفهمي فرهنوهم الشنفرى وأمه وأخاه وأسلموهم ولم يفدوهم ، فنشأ فيهم الشنفرى فكان شديد البأس وكان أشد منهم على الأزد قتلاً وسلباً ، ولما ترعرع الشنفرى جعل يغير على الأزد فيقتل من أدرك ، ثم قدم منى وبها حرام بن جابر فقتل له : هذا قاتل أبيك ، فشد عليه فقتله ثم سبق الناس على رجليه فقال في ذلك :

قَتَلْنَا حَرَامًا مُهْدِيًا بِمَلَكِدِ جِمَارَ مَنَى وَسَطَ الْحَجِيجِ الْمُصَوِّتِ (١)

من هنا نرى أن الشنفرى قد وقع في الأسر واسترق وقد انتقم من قاتل أبيه . وهناك رواية أخرى تزعم أن الشنفرى قتل مائة من بني سلامان بسبب أن والد الفتاة قد زوجه ابنته بعد أن رأى شجاعته وأصله وشرفه وذلك إثر سماعه الشنفرى ينشد بعد لطمه البنت له :

ألا هل أتى فتیان قومي جماعة بما لطمت كف الفتاة هجينها ؟
ولو علمت تلك الفتاة مناسي ونسبتها ظلت تقاصر دونها
أليس أبي خير الأواس وغيرها وأمي ابنة الخيرين لو تعلمينها
إذا ما أروم الود بيني وبينها يؤم بياض الوجه مني يمينها (٢)

ويبدو أن الشنفرى قد تجاوز في القتل والانتقام والأخذ بالثأر حتى وصل قتلته إلى مائة من النفوس البريئة ، وقد تعرف على صعلوك مشهور له تاريخ عريق في عالم الصعلكة والغزو والسلب ، إنه الصعلوك الفاتك تأبط شراً وقد وجد تأبط شراً في الشنفرى تلميذاً وفيماً وشجاعاً ألباً فقربه إليه وعطف عليه وتبنى تربيته والإشراف عليه فكراً وسلوكياً ، مما كان له أكبر الأثر على شخصية الشنفرى فيما بعد ، فقد وجد

١ - الأغاني : الأصفهاني ٢١ / ١٩٠ . مهدياً : مقدماً الهدى في الحج . الملبد : حيث تدهن السطور

أيام الحج لتلبد . المصوت : الذي يرفع صوته بالدعاء .

٢ - المصدر نفسه ، ص ١٩٧ . المحجين : الذي أبود عربي وأمه أعجمية . الخيرين : جمع خير .

الشَّنْفَرى في انضمامه إلى الصَّعَالِيك فرصة مناسبة للانطلاق لتحقيق ما في نفسه من آمال عراض بحيث تترك المجال أمامه لفعل كل ما يريد قتلاً وسلباً وخيانة^(١).

ويظهر لنا أن الشَّنْفَرى استغل بذكائه حركة الصَّعَالِيك استغلالاً خاصاً يعود عليه بالفائدة والنفع حيث وجد فيها وسيلة لتحقيق أحلامه بالفتك بأكبر عدد ممكن من أعدائه الذين قتلوا أباه أو الذين قتلوا والد زوجته ، وفعلًا كان له ما أراد من فتك بهم حيث كان يغير ويقتل كل من وصلت إليه يد مع أستاذه تأبط شراً .

ورأى الشَّنْفَرى أن فرصة الانتقام من قبيلة الأزد سانحة ، فصب جام غضبه عليها بأن سلط عليها كل غزواته^(٢).

ويبدو أن الشَّنْفَرى تأثر بمبدأ الصَّعَالِيك وسيطر الجانب الدموي على حياته معهم ، وقد ساعد النظام القبلي بما يحويه من سلبيات ، وبما فيه من تمييز بين أفرادهِ أحراراً وعبيداً ، ومن فقر مدقع سائد ، ومن طبيعة البلاد القاسية التي نشأ فيها الشَّنْفَرى ، بحيث خرج عن الأعراف القبلية وتقاليدها وعاداتها واستبدل بها أعراف الصَّعَالِيك وتقاليدهم ، كما وجد في الصَّعَالِيك الحنان الذي فقده ، واتخذ منهم أهلاً غير أهله ، ونراه يقول في أصدقائه من الحيوانات ما نلمس منه أنه يفضل هؤلاء الحيوانات على بني جنسه من البشر :

وَلِي دَوْلُكُمْ أَهْلُونَ سَيِّدٌ عَمَلَسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جِيَالُ^(٣)
هُمُ الرِّهْطُ لَا مُسْتَوْدِعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخَذِّلُ^(٤)

ويبين أن هؤلاء الأهل الجدد من الحيوانات لا يذيعون في الناس ما يستودع لديهم من أسرار ولا يخذلون العائذ بهم ، وإن كان ذا جرائم ، وواضح أن التركيز

١ - يُنْظَر ، الشَّنْفَرى شاعر الصحراء الأبي : محمود حسن أبو ناجي ، ص ٢٨ - ٢٩ .

٢ - يُنْظَر ، الأغاني : الأصفهاني ٢١ / ١٩٨ .

٣ - في التذوق الجمالي للامية العرب : د. محمد علي أبو حمدة ، ص ٥ . سيد : الذئب . العملس :

الذئب القوي على السير السريع . الأرقط : ما فيه سواد يشوبه نقط بياض والمراد النمر . الزهلول : الأملس .

٤ - جر عليهم جريرة : جنى جناية طولب بها . المخذول : الذي لا يعان ولا ينصر .

على هاتين الصفتين هو في استشعار نقيضهما لدى قومه كأنهما في الأسباب الرئيسة لتحوّله عنهم .

والذي ألمّحه أن الظروف الصعبة والحياة القاسية تركت أثراً في حياة الشنفرى فقد صرح بعدم مبالاته بالموت ، وحبّه للتخلص من هذه الحياة التي لم ترحمه والتي أذاقته الويلات فيقول :

إِذَا مَا أَتَنِي مَيَّتِي لَمْ أَبَالِهَا وَلَمْ تُذِرْ خِلَاطِي الدُّمُوعَ وَعَمَّتِي ^(١)

وعلام يأسى الشنفرى ويحزن ؟ أعلى رغد العيش ؟ أم على حنان والديه ؟
ويصور لنا في - مواقف مختلفة - شبح الجوع الذي استبد به وراح يهدده ليمثّل بذلك صراعاً وجودياً مع الشاعر ، فعبر عن هذا الصراع من جوانب عدة ، فقد صورّه شبحاً مخيفاً نهايته الموت المحتوم ، ثم صورّه مظهرّاً اجتماعياً يجعل الفقير ذليلاً منبوذاً ، ليصل الشاعر - في مقابل ذلك - إلى الاعتقاد بشرعية جمع المال بأية وسيلة مادام تحقيقه هو الغاية المنشودة ، ومادام في امتلاك المال حفاظاً على كرامة الإنسان وعدم ظهوره بمظهر الخانع الذليل ، وقد عبر الشاعر عن مستوى معيشي بلغة يبيح له أي وسيلة للخروج بشرف من تلك الضائقة ، فيقول ^(٢) :

أَدِيمُ مِطَالِ الْجُوعِ حَتَّى أُمِيتَهُ وَأَضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فَأَذْهَلُ ^(٣)
وَأَسْتَفُّ ثَرْبَ الْأَرْضِ كَيْلَا يَرَى لَهْ عَلَيَّ مِنَ الطُّولِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ ^(٤)
وَلَوْلَا اجْتِنَابُ الذَّامِ لَمْ يُلَفْ مَشْرَبٌ يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيَّ وَمَا كَلُ ^(٥)
وَلَكِنْ نَفْساً مُرَّةً لَا تُقِيمُ بِي عَلَى الذَّامِ إِلَّا رِيثِمَا أَتَحَوَّلُ ^(٦)

١ - الشنفرى شاعر الصحراء الأبي : محمود حسن أبو ناجي ، ص ٣٩ .

٢ - في النذوق الجمالي للامية العرب : د. محمد علي أبو حمدة ، ص ٦ - ٧ .

٣ - المطال : الماطلة . أضرب : أعرض . الصفح : الأعراض .

٤ - الطول : المن وتطول عليه إذا امتن .

٥ - الذام : العيب يهمز ولا يهمز ، يقال : ذأمه يذأمه إذا عابه وحقره .

٦ - مرة : صفة ل نفساً . ووصف النفس بالمرارة هو من الإيحاء بمكان كبير . فالنفس المرة أصلب عوداً من أن تطيق الصبر على الذام أو أن تسكت على باطل .

وَاطْوِي عَلَى الْخُمْصِ الْحَوَايَا كَمَا انْطَوَتْ
خَيْوَطَةُ مَارِي تَغَارُ وَتُقْتَلُ^(١)
إنه يصور آثار الجوع وما يترتب عليه من ردود أفعال طبيعية وقد أكد أنه
يماطل شعوره بالجوع حتى تموت شهيته ويصبر نفسه على شدة الجوع ، كما يبين
لنا أن ميله عن قومه ومجافاته لهم لم تكن بسبب انحراف في نفسه وزيف عن
الصواب ، وإنما كان بسبب انحراف في هذا المجتمع وزيف عن مسالك الحق ، وهو
ينم عن التأزم في نفسه وتعرض اتجاهين متعاكسين : اتجاه مراعاة مقاييس المجتمع
ونظرة الناس فيه واتجاه التأبي عليه والهجرة إلى الصحراء ومجانبة الناس .
ولو تعمقنا في أشعار الشنفرى لوجدنا أن الطابع الفردي سابغ على هذه
الأشعار منها استخدامه لضمير المتكلم ، حيث يقول^(٢) :

وَإِنِّي زَعِيمٌ أَن أَلْفٌ عَجَاجَتِي عَلَى ذِي كِسَاءٍ مِنْ سَلَامَانَ أَوْ بُرْدٍ
وَأَمْشِي لَدَى الْعَصْدَاءِ أَبْغِي سَرَاتَهُمْ وَأَسْلُكَ خَلَاءَ بَيْنَ أَرْبَاغٍ وَالسَّرْدِ
كَأَنِّي إِذَا لَمْ أُمَسْ فِي دَارِ خَالِدٍ بَيْتِمْاءَ لَا أَهْدَى سَبِيلًا وَلَا أَهْدِي

عرفنا أن المجتمع الجاهلي يفتخر بشرف القبيلة فكان الشاعر يتحدث عن
الجماعة القبلية يقول عمرو بن كلثوم^(٣) .

وَتَشْرَبُ إِن رَزَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدْرًا وَطِينًا
مَلَأْنَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا وَنَحْنُ الْبَحْرُ تَمْلَأُهُ سَفِينَا

وعلى الرغم من شيوع صوت القبيلة في الشعر العربي الجاهلي الذي يمثل
نتاج الشعراء الجاهليين ، كما تبدو في المعلقات والأصمعيات ، وكتب الحماسة ...
فقد قابل هذا الصوت الرسمي صوت فردي ثائر هو صوت الشعراء الصعاليك حيث

١ - الخمص : الجوع . الحوايا : جمع حوية وهي الأمعاء .
دالة على كثرة الجمع . ماري : اسم رجل وقيل اسم للقاتل .
القتل . الخيوط : الخيوط ، والتاء من خيوطه :
تغار : تحكم ، وحبل مغار أي محكم

٢ - الشنفرى شاعر الصحراء الأبي : محمود حسن أبو ناجي ، ص ٩١ .

٣ - ديوان عمرو بن كلثوم ، ص ٧٠ - ٧١ .

اتحت الفرصة لصوت الشاعر الفرد أن يظهر ويعلو كاشفاً عن تمرد صاحبه وثورته ، يقول الشنفرى (١) :

أَنَا السَّمْعُ الْأَزْلُ فَلَا أُبَالِي وَلَوْ صَعِبَتْ شَنَاخِيبُ الْعِقَابِ
وَلَا ظَمًا يُؤْخِرُنِي وَحَرًّا وَلَا خَمَصًا يُقْصِرُ مِنْ طِلَابِ

ويبدو أن الشنفرى نشأ على الأدب والحشمة في الحياة ، ومن مظاهر ذلك عدم تهافته على الزاد بشرامة الآخرين عندما يمد للأكليين بل إنه يأكل باحتشام وبأدب جم ، يقول (٢) :

وإِنْ مَدَّتْ الْأَيْدِي إِلَى الزَادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعَجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةً عَنْ تَفْضُلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الْأَفْضَلُ الْمُتَفَضِّلُ

ويظهر لنا أن الشنفرى عاش في عالم فريد من حيث تميزه بخصائص معنوية فذة في كيفية تناول طعامه ، فهو ذو نفس أبية عفيفة لا يستعجل تناول الطعام في حين يكون غيره مستعجلاً والسر في ذلك يرجع إلى أن نفسه مترفعة عن ذلك إحساناً وإنفاقاً ، وهذا من أخلاق الرجال الأحرار ذوي النفوس الأبية التي تدل على الفناعة ، وفي هذا دلالة على أن بعض الصعاليك رغم تناقضاتهم العديدة كانوا يتمتعون بقدر كبير من الاحتشام والأدب في تناول الزاد .

٣. تأبط شراً :

هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عميل بن عدي بن كعب بن حزن ، توفي نحو سنة ٨٠ ق. هـ. / نحو ٥٤٠ م .

وأمة يقال لها أميمة ، من بني القين بطن من فهم ، لقب بتأبط شراً لأنه أخذ سيفاً أو سكيناً تحت إبطه وخرج فسلت أمه عنه ، فقالت : تأبط شراً وخرج (٣) ، وقيل إنما سُمي تأبط شراً ببيت قاله وهو (٤) :

١ - الشنفرى شاعر الصحراء الأبي : محمود حسن أبو ناجي ، ص ١٠٨ .

٢ - المرجع نفسه ، ص ١١٢ .

٣ - الأغاني ، الأصفهاني ٢١ / ١٣٨ .

٤ - المصدر نفسه ٢١ / ١٥٤ .

تَأْبَطُ شَرًّا ثُمَّ رَاحَ أَوْ اغْتَدَى يَوَانِمُ غُفْمًا أَوْ يُشِيفُ إِلَى ذَحَلٍ (١)

كان أحد العدائين المعدودين وأعدى ذي رجلين وذو ساقين وذو عيينين ، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة ، فكان ينظر إلى الظباء فينتقي على نظره أسمنها ، ثم يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذه ، فيذبحه بسيفه ، ثم يشويه فيأكله (٢) . وهو أحد شعراء الجاهلية الصّاعاليك الذين عاشوا في البادية منعزلين عن قبائلهم .

كان تأبط شرّاً يعدو على رجلين ، وكان فاتكاً شديداً ، بات ليلة ظلمة وبرق ورعد في قاع يقال له رحي بطن فلقيته الغول فما زال يقاقلها ليلته إلى أن أصبح وهي تطلبه ، فلا تقدر عليه إلى أن أصبح ، فقال تأبط شرّاً (٣) :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ فَيَبَانُ فَهَمٌ	بِمَا لَأَقِيْتُ عِنْدَ رَحَى بَطَانٍ (٤)
بِأَلْيِّ قَدْ لَقِيْتُ الْغُولَ تَهْوِي	بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانٍ (٥)
فَقُلْتُ لَهَا كَلَانَا نَضُو أَيْنِ	أَخْوَسَفَرٍ فَخَلِّي لِي مَكَانِي (٦)
فَشَدَّتْ شِدَّةً نَحْوِي فَأَهْوَى	لَهَا كَفِّي بِمَصْقُولٍ يَمَانِي
فَأَضْرَبُهَا بِلَا دَهْشٍ فَخَرَّتْ	صَرِيْعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ (٧)
فَقَالَتْ عُدَّ فَقُلْتُ لَهَا رُويْدًا	مَكَانَكَ إِنِّي ثَبْتُ الْجَنَانِ
فَلَمْ أَنْفَكُ مَتَكِّي لَدَيْهَا	لِلْأَنْظَرِ مُصْبِحًا مَاذَا أَتَانِي
إِذَا عَيْنَانِ فِي رَأْسٍ قَبِيحٍ	كَرَأْسِ الْهَرِّ مَشْقُوقِ اللِّسَانِ
وَسَاقًا مُخْدَجٍ وَشَوَاةً كَلْبٍ	وَقُوبٌ مِنْ عَبَاءٍ أَوْ شَنَانٍ (٨)

١ - الذحل : الثأر .

٢ - المصدر نفسه ٢١ / ١٤٠ .

٣ - المصدر نفسه ٢١ / ١٤٠ .

٤ - منهم قبيلة الشاعر .

٥ - السهب : الفلاة الصحصحن : السهل من الأرض .

٦ - نضو : ضعيف مهزول . الأين : التعب .

٧ - الدهش : الحيرة . الجران : مقدّم العنق .

٨ - المخدج : الناقة التي أخرجت ولدها لغير تمام . الشّواة : قحف الرأس . الشنان : جمع شن وهي

القرية .

ورد في الأغاني أنه خرج غازياً يريد بجيلة هو ورجل معه ، وهو يريد أن يغترهم فيصيب حاجته ، فأتى ناحية فهم ، فقتل رجلاً ، ثم استاق غنماً كثيرة ، وقتل صاحبه وهو ابن عم زوجته ، فلما رجع تأبط شراً وليس صاحبه معه ، فقالت زوجته : تركت صاحبك وجئت متأبطاً ، فقال في ذلك (١) :

أَلَا تَلَكُمَا عِرْسِي مَنِعَةً ضَمَنْتُ	مِنْ اللَّهِ إِثْمًا مُسْتَسِرًّا وَعَالِنًا
تَقُولُ تَرَكْتُ صَاحِبًا لَكَ ضَانِعًا	وَجِئْتُ إِلَيْنَا فَارِقًا مُتَبَاظِنًا
إِذَا مَا تَرَكْتُ صَاحِبِي لِثَلَاثَةِ	أَوْ اثْنَيْنِ مِثْلِنَا فَلَا أُبْتُ آمِنًا
وَمَا كُنْتُ أَبَاءَ عَلَى الْخَلِّ إِذْ دَعَا	وَلَا الْمَرْءَ يَدْعُونِي مُمِرًّا مُدَاهِنًا
وَكَرَّي إِذَا أَكْرَهْتُ رَهْطًا وَأَهْلَهُ	وَأَرْضًا يَكُونُ الْعَوْصُ فِيهَا عُجَاهِنَا
وَلَمَّا سَمِعْتُ الْعَوْصَ تَدْعُو تَنْفَرْتُ	عَصَافِيرُ رَأْسِي مِنْ غَوَاةٍ فَرَاتِنَا
وَلَمْ أَنْتَظِرْ أَنْ يَدْهَمُونِي كَأَنَّهُمْ	وَرَأَيْتُ نَحْلًا فِي الْخَلْيَةِ وَاكِنَا

وذكر في شعره أنه لقي الغول فقتلها ، وجعل يصفها (٢) :

تَقُولُ سُلَيْمِي لِحَارَاتِهَا	أَرَى ثَابِتًا يَفْنَا حَوْقِلَا (٣)
لَهَا الْوَيْلُ مَا وَجَدْتُ ثَابِتًا	أَلْفَ الْيَدَيْنِ وَلَا زُمْلًا (٤)
وَلَا رَعِشَ السَّاقُ عِنْدَ الْجِرَا	ءِ إِذَا بَادَرَ الْحَمَلَةَ الْهَيْضَلَا (٥)
يَفُوتُ الْجِيَادَ بِتَقْرِيبِهِ	وَيَكْسُو هَوَادِيهَا الْقَسْطَلَا (٦)
وَأَذْهَمَ قَدْ جُبْتُ جِلْبَابُهُ	كَمَا اجْتَابَتِ الْكَاعِبُ الْخَيْعَلَا (٧)
إِلَى أَنْ حَدَا الصُّبْحُ أَثْنَانُهُ	وَمَرَّقَ جِلْبَابُهُ الْأَلْيَلَا
عَلَا شِيَمَ نَارٍ تَنَوَّرَتْهَا	فَبِتُّ لَهَا مُدْبِرًا مُقْبِلَا
فَأَصْبَحْتُ وَالْغُولُ لِي جَارَةً	فِيَا جَارَتِي أَنْتِ مَا أَهْوَلَا

١ - الأغاني ، الأصفيهاني ٢١ / ١٤٧ .

٢ - الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ١ / ٢٣٠ .

٣ - اليفن : البالي . الحوقل : الذي عجز عن النكاح .

٤ - ألف اليدين : ثقل بطيء الحركة . زمل : ضعيف جبان .

٥ - الجزاء : المجازاة . الهيضل : الجيش الكثيف .

٦ - التقريب : الجري . الهوادي : الأعناق . القسل : الغبار .

٧ - الخيعل : الغزو أو قميص ليس له كمان . واجتابت القميص : لبسته .

يبدو أنّ الصّعاليك تمردوا على الواقع الحياتي واحترفوا الصّعلة وانضموا إلى من تصعلك قبلهم ، فهذا تأبط شرّاً يدعو للحصول على الطّعام ، ولو أدّى ذلك إلى امتشاق السيّف ، فقد ورد أنّه خرج في عدة من فهم ، فيهم عامر ابن الأخنس ، الشّنفري ، المسيب ، عمرو بن براق ، ومرة بن خليف ، حتّى بيتوا العوص وهم حي من بجيلة ، فقتلوا منهم نفراً ، وأخذوا لهم إيلاً ، فساقوها حتّى كانوا من بلادهم على يوم وليلة ، فقال تأبط شرّاً في ذلك (١) :

جَزَى اللَّهُ فِتْيَانًا عَلَى الْعَوْصِ أَمْطَرَتْ	سَمَاؤُهُمْ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ بِالدِّمِ (٢)
وَقَدْ لَاحَ ضَوْءُ الْفَجْرِ غَرْضًا كَأَنَّهُ	بِلَمْحَتِهِ أَقْرَابُ أَبْلَقَ أَدْهَمِ (٣)
فَإِنْ شِفَاءَ الدَّاءِ إِدْرَاكَ ذَحْلَةٍ	صَبَاحًا عَلَى آثَارِ حَوْمٍ غَرَمَرِ (٤)
وَضَارَبَتْهُمْ بِالسَّفْحِ إِذْ عَارَضَتْهُمْ	قَبَائِلُ مِنْ أَبْنَاءِ قَسْرِ وَخَثْعَمِ (٥)
ضِرَابًا غَدَا مِنْهُ ابْنُ حَاجَزٍ هَارِبًا	ذُرَا الصَّخْرِ فِي جَوْفِ الْوَجِينِ الْمُدِيمِ (٦)

ثم يمضي تأبط شرّاً في الفضاء الفسيح يسعى للحصول على ما يسد به رمقه ، ورد أنّه خرج يوماً يريد الغارة ، فلقي سرحاً لمراد فأطرده ، ونذرت به مراد ، فخرجوا في طلبه ، فسبقهم إلى قومه ، وقال في ذلك (٧) :

إِذَا لَاقَيْتَ يَوْمَ الصِّدْقِ فَارْبَعِ	عَلَيْهِ وَلَا يُهْمُكَ يَوْمٌ سَوٌّ
عَلَى أَتَى بِسَرْحِ بَنِي مُرَادٍ	شَجَوْتُهُمْ سَبَاقًا أَيَّ شَجَوٍ
وَأَخَّرَ مِثْلَهُ لَا غَيْبَ فِيهِ	بَصَرْتُ بِهِ لِيَوْمٍ غَيْرِ زَوٍّ (٨)
خَفَضْتُ بِسَاحَةِ تَجْرِي عَلَيْنَا	أَبَارِيقُ الْكَرَامَةِ يَوْمَ لَهَوٍ (٩)

١ - الأغاني ، الأصفيهاني ٢١ / ١٥٢ .

٢ - العجاجة : يُقال لفّ عجاجته عليهم : أغار عليهم .

٣ - إقرب المهر : دنوه . الأبلق : ما خالط بياضه سواده . الأدهم : الأسود .

٤ - الذخلة : النار . الحوم : الجماعة . العرمم : الكثير .

٥ - قسر وخثعم : قبيلتان .

٦ - الوجين : شط الوادي . المدم : من الديمة وهي المطرة .

٧ - الأغاني ، الأصفيهاني ٢١ / ١٥٤ .

٨ - غير زو : لا مثيل له ولا نظير .

٩ - خفضت : نعمت . الكرامة : غطاء الرأس .

إِنَّ الصَّعَالِيكَ جَعَلُوا أَرْزَاقَهُمْ فِي رِمَاحِهِمْ ، وَيَصُورَ لَنَا تَأْبُطَ شَرًّا إِحْدَى
غَارَاتِهِ عِنْدَمَا خَرَجَ غَازِيًّا يَرِيدُ الْغَارَةَ عَلَى الْأُرْدِ فِي بَعْضِ مَا كَانَ يَغِيرُ عَلَيْهِمْ ،
فَيَقُولُ (١) :

تُرْجِي نِسَاءَ الْأُرْدِ طَلْعَةَ ثَابِتٍ أَسِيرًا وَلَمْ يَدْرِينَ كَيْفَ حَوِيلِي (٢)

فَإِنَّ الْأُلَى أَوْصَيْتُمْ بَيْنَ هَارِبٍ طَرِيدٍ وَمَسْفُوحِ الدِّمَاءِ قَتِيلٍ
وَوَحَدْتُ بِهِمْ حَتَّى إِذَا طَالَ وَحْدُهُمْ وَرَابَ عَلَيْهِمْ مَضْجَعِي وَمَقِيلِي (٣)

مَهَّدَتْ لَهُمْ حَتَّى إِذَا طَالَ رَوْعُهُمْ إِلَى الْمَهْدِ خَالَتُ الضِّيَا بِخَيْلِ (٤)

فَلَمَّا أَحَسُّوا النَّوْمَ جَاؤُوا كَأَنَّهُمْ سَبَاعٌ أَضَافَتْ هَجْمَةً بِسَلِيلِ (٥)
فَقَلَّدْتُ سَوَارَ بْنَ عَمْرِ بْنِ مَالِكٍ بِأَسْمَرَ جَسَرَ الْقَذَّيْنِ طَمِيلِ (٦)
فَخَرَّ كَأَنَّ الْفِيلَ أَلْقَى جِرَائُهُ عَلَيْهِ بَرِيَانَ الْقُوءِ أَسِيلِ (٧)
وَمِنْ جَيِّدِ شَعْرِهِ قَوْلُهُ (٨) :

يَا مَنْ لَعْدَالَةَ خَذَالَةَ نَشَبَ خَرَّقْتُ بِاللُّومِ جِلْدِي أَيَّ تَخْرَاقِ (٩)
تَقُولُ أَهْلَكْتَ مَا لَا لَوْ ضُنِنْتَ بِهِ مِنْ ثَوْبٍ عَزْ وَمِنْ بَزٍّ وَأَعْلَاقِ
سَدَّ خِلَالِكَ مِنْ مَالٍ تُجْمَعُهُ حَتَّى تُلَاقِي مَا كُلُّ امْرِئٍ لَاقِ
عَادِلَتَا إِنْ بَعْضَ اللَّوْمِ مَنَفَعَةٌ وَهَلْ مَتَاعٌ وَإِنْ بَقِيَّتُهُ بَاقِ

١ - الأغاني ، الأصفهاني ٢١ / ١٦٣ - ١٦٤ .

٢ - الحويل : الخدق والمهارة .

٣ - مقيلي : موضع القيلولة . راب عليهم الأمر : التيس .

٤ - طاب روعهم : هدأ قلبهم . خالت : خادعت .

٥ - السليل : مجرى الماء في الوادي .

٦ - الأسمر : السهم . جسر : ضخم . القذة : ريش السهم .

٧ - الجران : مقدم العنق . القواء : الأرض القفر . الأسيل : المستوي الأملس الناعم .

٨ - الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ١ / ٢٣٠ .

٩ - نشب : ناشب مستمر في اللوم . العذالة : كثير العذل . الخذالة : كثير الخذلان لصاحبه .

إِنِّي زَعِيمٌ لِّئِنْ لَمْ تَنْزِكْ عَلَيَّ
أَنْ يَسْأَلَ الْحَيُّ عَنِّي أَهْلَ مَعْرِفَةٍ
أَنْ يَسْأَلَ الْحَيُّ عَنِّي أَهْلَ آفَاقٍ
فَلَا يُخَبِّرُهُمْ عَنْ ثَابِتٍ لَّا قِ
لَتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ السَّنُّ مِنْ نَدَمٍ
إِذَا تَذَكَّرْتُ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلَاقِي

ولعل في هذه الأبيات ما يدل في وضوح على أَنَّ الصَّعلوك الذي كان يقطع الطريق في الجاهلية كانت تنعكس عليه أحياناً صفات الفروسية ، وما بعثت لعصره من سمو في الأخلاق ، كما نحس عنده غير قليل من الترفع والشعور بالكرامة في الحياة . ويبدو أَنَّ عالم الصَّعلكة يقتضي منهجاً في القتال وأسلوباً في الكر والفر ، إذ مهما ابتعد بنا الخيال فلا نتصور الصَّعلوك إلا إنساناً يعتمد أسلوب السلب والنهب وسيلة ، والفرار مسلماً للنجاة حين يضطر لذلك .

ولنا أن نتخيل سباقاً بين تأبط شراً ومجموعة من الخيل ، وكيف أَنَّ هذا الصَّعلوك لا يكتفي بمجرد سبقه لها ، واحتلاله مكان الصدارة ، ولكنه - فضلاً عن ذلك - يترك وراءه غباراً متناثراً يغشى الطريق أمام طلائع الخيل التي تسابقه أو تلاحقه ، ويتفنن تأبط شراً في خلق صورة شعرية حيّة ، حيث يقول (١) :

يَفُوتُ الْجِيَادَ بِتَقْرِيبِهِ وَيَكْسُو هَوَادِيهَا الْقَسْطَلَا (٢)

ويصور لنا الشنفرى كيف كان تأبط شراً يحمل زاد الصَّعاليك ، ويقترب عليهم في الطعام خيفة أن تطول الغزاة بهم فيموتوا جوعاً ، ويقص علينا ذلك في مداعبة طريفة له ، إذ يدعوه أهمهم ، وهو وأصحابه عيالها ، فيقول (٢) :

وَأُمُّ عِيَالٍ قَدْ شَهِدَتْ تَقَوُّهُمْ وَأَمَّا إِذَا أَطْعَمْتَهُمْ أَوْ تَحَتَّ وَأَقَلَّتْ (٤)
تَخَافُ عَلَيْنَا الْعِيلَ إِنْ هِيَ أَكْثَرَتْ وَنَحْنُ جِيَاعٌ أَيَّ آلٍ تَأَلَّتْ (٥)

ويقال إنَّ الذي روض الشنفرى على الصَّعلكة وقطع الطريق تأبط شراً ، فكان يغير معه ويقوده ، ويقتحم الصَّعاب ولا يتهيب الموت ولا وعاء الطريق ، وما

١ - الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ١ / ٢٣٠ .

٢ - القسطل : الغبار . التقريب : الجري . الموادي :

٣ - الأغاني ، الأصفهاني ٢١ / ١٩٣ . العصر الجاهلي ، د . شوقي ضيف ، ص ٣٨١ .

٤ - أم عيال هنا : تأبط شراً . تقوهم : تطعمهم . أو تحت : أقلت وقترت .

٥ - العيل : الفقر وفقد الطعام . أي آل تألت : أي سياسة ساست من آلة بمعنى ساسه .

زال تأبط شراً يقوم بمغامراته حتى قُتل في إحدى غاراته بمنازل هذيل ، فكان مصرعه على يد غلام منهم ، فقالت ريطة أخته تربيته :

ثابت بن جابر بن سفيان

نعم الفتى غادرتم برحمان

كما رثته أمه قائلة (١) :

إذا ضنت جمادى بالقطار (٢)

قتيل ما قتييل بني قريم

مقيماً بالحريضة من ثمار (٣)

فتى فهم جميعاً غادروه

المبحث الأول :

الغربة لغة واصطلاحاً :

الْغُرْبَةُ وَالْغَرْبُ : النوى والبعد ، وقد تغرب ونوى غربة : بعيدة وغربة النوى : بُعدها ، والتَّغْرِب : البعد والغربة ، والغَرْب : النَّزوح عن الوطن والاعتراب.

والاعتراب : افتعال من الغربة ، والمُغْرَب : المبعد في البلاد ، فقد ورد في لسان العرب أن الاعتراب افتعال من الغربة والغَرْب : النَّزوح عن الوطن (٤) .

ومن هذه التعريفات نجد أن الغربة والاعتراب تعني الابتعاد والإبعاد والنفي والنزوح عن الوطن بيد أننا نجد لها عائدة غائمة في الكتابات الحديثة ، تتنازعها تفسيرات شتى متخذة تحليلات متباينة من الباحثين المتخصصين لما لها من أهمية في مجمل الحياة في الوقت الحاضر لكونها مشكلة غزت الإنسان وتسملت إلى النشاطات الثقافية ، بل أصبحت ظاهرة بارزة في مختلف النتاجات الفكرية فضلاً عن احتلالها حيزاً كبيراً من الكتابات الفلسفية لما أصاب المجتمع الرأسمالي من تدهور ومن تفاقم المعاناة والإحساس بالانسحاق والضالة تحت وطأة الحياة الاجتماعية القاسية ، على أن مفهوم الاعتراب هو الآخر تتنازع التفسيرات المتباينة والتعريفات المختلفة من

١ - الأغاني ، الأصفهاني ٢١ / ١٧٩ .

٢ - ضنت : شحت وبخلت . القطار : المطر .

٣ - الحريضة : موضع في بلاد هذيل . ثمار : جبل في بلاد هذيل .

٤ - لسان العرب : ابن منظور ، مادة (غرب) .

وجهات نظر متباينة ، وقد قصرها بعض الكتاب والباحثين على المجتمع الصناعي ، على أن جذور هذه الظاهرة أبعد بكثير زمنياً^(١) .

وقد أوفت اللغة العربية حق لفظة الغربة من معنى ، وحددت مساراتها ، بيد أن التوسع في استعمال الغربة قد تطور في العصور اللاحقة للعصر الجاهلي ، وإذا كان لابد من استخدام المصطلح فإن الغربة ذهبت إلى أبعد من التغرب عن الأوطان لتشمل أنواعاً من الغربة أو الاغتراب مثل غربة النفس ، والرأي ، والتغرب من أجل مصادر الحياة وغيرها مما سنجد تفصيلاتها فيما بعد .

أسباب الغربة :

لم نجد خلال استعراضنا لشعر الغربة والحنين اختيار الشاعر للاغتراب بمحض إرادته إلا بفعل بواعث قوية فرضت عليه أن يجوب الصحراء مترامية الأطراف ، وقد وجدنا الغربة تكمن في ثلاثة بواعث رئيسة هي :

البيئة والطبيعة والواقع الاجتماعي القبلي وتأثيراته النفسية ، والعامل

الاقتصادي .

البيئة الطبيعية :

إن البيئة الطبيعية المتمثلة بالصحراء قد أثرت في حياة العرب مما جعلتهم في نقلة دائمة وحركة مستمرة باتجاه السحاب الماطر والأرض المعشبة ليس لهم فحسب ، بل ما يضمن الحياة لماشيئهم وإدامة أسباب معيشتهم أيضاً ، فمناخ الجزيرة العربية في جملته حار شديد الحرارة ، وتكثر في نجد رياح السموم التي تهب صيفاً ، فتشوي الوجوه شياً ، والأمطار عامة قليلة ومتى احتبست الأمطار جفت الأرض وأجذبت وحل الهلاك والفناء على القطعان والرعاة .

ولطول ما كان يحدث لهم من ذلك سموا الجذب سنة فيقولون : أصابتنا سنة أنت على الأخضر واليابس ، ومن أجل ذلك كثرت عندهم الرحلة في طلب العشب

^١ - الاغتراب في الشعر الجاهلي : د. صاحب خليل إبراهيم ، ص ١٢ .

والكلأ فترحل القبيلة بإبلها وأغنامها إلى مراعي جديدة^(١)، ومن نافلة القول أن نتناول التقسيمات الجغرافية لكثرة ما تناولتها الدراسات المختلفة بإسهاب مما أضحت معروفة، والمعلومات مشاعة وواضحة^(٢).

الواقع الاجتماعي القبلي :

حين ننظر إلى المجتمع الجاهلي في صورته العامة نرى أنه مجتمع قبلي، انقسم فيه العرب إلى وحدات اجتماعية متعددة عرفت كل منها باسم القبيلة، وقد تطلبت البيئة القاسية روابط اجتماعية مبتدئة بما تضمنه الخيمة أو البيت والحمى والحي والرهط والقوم ومن ثم العشيرة والقبيلة كي يعيشوا متضامنين يدينون بالولاء لزعيمها يربطهم المصير المشترك في الحروب والسلم، لا يجد الغريب في أرضهم موطئ قدم غازياً أو معتدياً، وإذا ما دعت الضرورة وجرب حظه غازياً تقاقله القبيلة حفاظاً على أرضها وعرضها وأموالها، ولذا أصبح الانتماء رابطة وحدت صفوفهم، وإذا ما خرج الفرد على ذلك الواقع الاجتماعي القبلي وتمرد يعاقب.

وبالرغم من الواقع الاجتماعي القبلي الصارم، فإن تصدعاً ما لا بد أن يحدث في جداره ويتخلخل فينقلب بعض الشعراء ليعيشوا في منأى عن القبيلة لعدم انسجامهم مع واقع اجتماعي مرفوض من وجهة نظرهم فيغترب شاعر عن موطنه، وبخاصة الصعلوك بسبب الظلم الذي لحقه فلا مندوحة من التحول عنه إلى مكان لا يجد فيه ما يسبب له الأذى.

وإن اعتزاز القبيلة بجنسها وهويتها قد أوجد عقداً مختلفة أدت إلى الاغتراب النفسي، دفعت بعضهم إلى التسامي، وبعضهم الآخر إلى الإحباط على أن فكرة الاغتراب تحمل التضاد النفسي لهذه الظواهر^(٣).

^١ - يُنظر، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي : د. شوقي ضيف، ص ٢٠ - ٢١.

^٢ - المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام : د. جواد علي ١ / ١٤٠ - ١٨١. الطبيعة في الشعر الجاهلي : د. نوري

حمودي القيسي، ص ١٣ - ١٩. مقدمة القصيدة العربية : د. حسين عطوان، ص ٢٤ - ٣٠.

^٣ - مع الشاعر الجاهلي في عوالم اغترابه، بحث : عادل جاسم البياتي، ص ٨٩ - ٩٠ العدد الأول ١٩٧١ م.

ونجد بعض من اغترب مكرهاً ، لم يعلن رغبته مباشرة وإنما كنى في ذلك عن ناقته فهو مضطر لأن يجتوي الأرض التي تجتويها لرغبته في التغيير ، أو لإحساسه أنه في دار هوان أو لفقد الالتزام ، فيرى أن بلاد الله واسعة لمن يطلب مأماً^(١) .

العامل الاقتصادي :

إن الصحراء المترامية الأطراف عبر امتداد الأفق غابة شاسعة من الرمال عكست ما تضمه من مجاهل وحياة متعذرة على ساكنيها ، مما أدى إلى أن فرضت تلك البيئة القاسية قوانينها ، وأملت إرادتها في النقلة الدائمة ، كما أن حدة الفوارق الاقتصادية سببت ظاهرة الفقر التي دعت إلى الاغتراب والطواف في البلاد وخارجها ، وأن يضرب الشاعر في مجاهل الفيافي ، تتلقفه مفازة وتودعه ببداء قاسية ليحصل على قوته ، متخذاً من الغزو والغارة والصَّلَكة والمدح سبلاً لتحقيق ما يعينه على الاستمرار في الحياة .

المبحث الثاني :

الاغتراب النفسي :

تعد الغربة النفسية أقسى أنواع الغربة ، وأشدّها إيلاًماً ، وقد تعرض لها الشعراء بشكل مباشر ، أو غير مباشر ، إما بفعل الإنسان وإما خارج إرادته ولاسيما العبودية وسواد اللون التي يعاني منها الشاعر في غير موطنه ، وفي الحاليتين تتعكس آثارها من خلال التعامل اليومي في مختلف منافذ الحياة ، تتحداه ويتحداها ، ويعيش معها صراعاً حاداً^(٢) .

فنرى الألم النفسي ينتشر في أعماق الشاعر ، يشع على عالمين ، عالم الانتماء إلى القبيلة بفعل رابطة الدم وعالم الغربة النفسية داخل ضغط الانتماء ، ولذا نجد الألم قد احتل الصدارة في النفس ، وكثيراً ما كان هذا التمزق يتمحض عن

^١ - محاضرات الأدباء : الراغب الأصفهاني ٢ / ٨٠ .

^٢ - الاغتراب في الشعر العربي قبل الإسلام : د. صاحب خليل إبراهيم ، ص ٨٠ .

انسلاخ الشاعر وتمرده على القبيلة ، وتحوله من الجماعة إلى الذات المفردة ، وخاصة عند الصّاعليّ الذين سرعان ما تجمعوا وانضوا تحت لواء الصّعلكة وأغربة العرب وسودانهم وتتنوع أسباب الغربة النفسية وتتعدد لعوامل شتى متباينة منها عقدة اللون وهموم حيوية عامة ، والواقع الاجتماعي وما ينضوي تحته من تفاصيل .

١. عقدة اللون :

برزت عقدة اللون عند بعض الشعراء بشكل لافت للنظر مما أدى إلى الغربة النفسية والانسحاب إلى الذات المفردة التي حملت الشاعر على التغني بعذابه ، والسليّك بن السلّكة واحد من أغربة العرب وصعاليكهم وهو منسوب إلى أمه سلّكة ، وكانت سوداء^(١) ، فاكْتَسَب السّود منها ، فقد عبر عن معاناته من عقدة اللون بقوله :

هَزِنْتُ أَمَامَهُ أَنْ رَأَيْتُ بِي رَقَّةً وَفَمًا بِهِ فَقَمٌّ وَجِلْدٌ أَسْوَدُ^(٢)

كما شكّا في مقطوعة له ما تعاني خالته السوداء وبنات جنسه من ضيم وتنقل من مكان إلى آخر ، فعبر عن عذابه وعذابهن وعجزه عن إنقاذهن لفقره وقلة ماله :

أَشَابَ الرَّأْسَ أَنِّي كُلَّ يَوْمٍ أَرَى لِي خَالَةً وَسَطَ الرِّحَالِ
يَشُقُّ عَلَيَّ أَنْ يَلْقَيْنَ ضَيْمًا وَيَعْجِزُ عَن تَخْلُصِهِنَّ مَالِي^(٣)

يصرح السليّك بأن رأسه قد شاب مما تقاسيه خالاته من ضيم وهوان ومذلة يعجز لفقره عن إنقاذهن منها ، ويذكر في هذا مجال دفاعه عن تصعلكه وفخره به ، مما يشعر بأن هذه " العصبية النسائية " كانت من الأسباب الفعالة في هذا التصعلك ، فمن الطبيعي أن تكون صلة هؤلاء الأغربة بأمهاتهم أقوى من صلتهم بأبائهم ، وقد رأينا أن أكثرهم قد نسبوا إليهن ، ومرد هذا من غير شك إلى إنكار آبائهم لهم منذ

١ - الشّعْر والشّعراء : ابن قتيبة ١ / ٢٨١ .

٢ - السليّك بن سلّكة : دراسة وجمع وتحقيق : حميد آدم ثويني ، وكامل سعيد عواد ، ص ٥٠ .

٣ - المصدر السابق ، ص ٦٢ .

أول حياتهم ، وإهمالهم شأنهم بعد ذلك فنشأوا في رعاية أمهاتهم أو في إهمالهن ، لا يرون لهم أحداً سواهن ، فتعصبوا لهن وتعصبن لهم^(١) .

ومن الشعراء من أبعد عن قبيلته ، مثل طرفة بن العبد ، ولكنه لم يتصعلك ، ومنهم من واجه مرارة التفرقة ، بسبب لونه الأسود كعنتر بن شداد وسحيم عبد نبي الحساس ولكنهما لم يتصعلكا .

وبالرغم من أن عنتر بن شداد لا بعد من الصعاليك فقد كانت عقدة اللون تطارده ، وظل يعاني منها ، فقد شكل السواد عنده عقدة اجتماعية ، وقد سجل معاناته عبر الكثير من قصائده وبشكل بارز .

ويتضح من خلال استعراضنا من نصوص وإشارات تأثير عقدة اللون وانعكاسها على الشاعر ، فقد فتحت جروحاً في أعماقه لا سبيل إلى التئامها أو اندثارها ، فقد ظل في حالة إحساس بالاعترا ب ، تدفعه للبحث عن الذات في ظل الانتماء والتواصل مع قبيلته التي نبذته حيث لم يعترف والده به إلا حينما أثبت شجاعته في الحرب ، فكان يتأرجح بين ماض معلوم وهو العبودية وحاضر مفعم بالحرية ويبدو أن تأثير عقدة اللون على الشاعر كان واضحاً ، ولذا يحاول الهرب إلى إثبات الذات في المعارك الضارية التي خاضها بسيفه ما يعطيه الإحساس بالتفوق ، ويشعره بأنه أجدر بارتقاء مكانة اجتماعية أرقى من مكانته ويتحقق له بذلك مزيداً من الشعور بالتفوق والرضى ، ولكنه حاول أن يقيم معادلاً موضوعياً للتغلب على تلك العقدة ، فاتجه إلى خوض غمار الحروب في إطار الدفاع عن القبيلة ليس لتحقيق (الأنا) حسب ، وإنما لكسب ال (نحن) لتحقيق ما يصبو إليه من الاعتراف به ، ويبدو أن عقدة اللون عند عنتر كانت السبب الرئيسي في انعدام التوفيق الاجتماعي ولذا كان يجد في الحرب شفاء لنفسه لحاجة القوم له ، كما في قوله :

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَذْهَبَ سَقَمَهَا قِيلَ الْفَوَارِسِ وَيَكْ عَنَتَرِ أَقْدِمِ^(٢)

^١ - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي : د. يوسف خليف ، ص ١١٤ - ١١٥ .

^٢ - عنتر : دراسة وتحقيق محمد سعيد مولوي ، ص ٢٥٤ .

وفي معرض لوم عبلة له يعبر عن حالته قائلاً

قَدْ طَالَمَا لَيْسَ الْحَدِيدَ فَإِنَّمَا صَدَأُ الْحَدِيدَ بِجِلْدِهِ لَمْ يُغْسَلِ (١)

ويبدو أن اللون الأسود كان ممتزجاً بالمرارة في تناقض جدلي عبر حياته مع حبيبته وزوجه ، فحين تلومه زوجه على إثارة فرسه يجد في ذلك مساً لشجاعته فينقض ويبرز السواد أمامه في اللا وعي ، ليعاقب زوجه فيلصق بها ما يشينها من سواد اللون الذي يعاني من عقدته ، ولاستحالة استبدال بياض جسمها بالسواد يستبدله بالجرب وهو صورة مثيرة لما يرمي إليه ، فيحذرهما قائلاً :

لَا تَذْكُرِي مُهْرِي وَمَا أَطْعَمْتُهُ فَيَكُونُ جِلْدُكَ مِثْلَ جِلْدِ الْأَجْرَبِ

وهذا خفاف بن ندبة السلمي يعاني من عقدة اللون الأسود ويضيق ذرعاً بسواد لونه وسواد أمه قائلاً :

كَلَانَا يُسَوِّدُهُ قَوْمُهُ عَلَى ذَلِكَ النَّسَبِ الْمَظْلُمِ (٢)

وتشتد عقدة اللون الأسود عند سحيم عبد بني الحسحاس فكان يرد على معيريه بالسواد :

لَيْسَ يُزْرَى السَّوَادُ يَوْمًا بِذِي اللَّبِّ ب وَلَا بِالْفَتَى اللَّيِّبِ الْأَدِيبِ
إِنْ يَكُنْ لِلْسَّوَادِ فِي نَصِيبٍ فَيَبِاضُ الْأَخْلَاقُ مِنْهُ نُصِيبِي (٣)

وفي المعنى نفسه يقول :

إِنْ كُنْتُ عَبْدًا فَنَفْسِي حُرَّةٌ كَرَمًا أَوْ أَسْوَدَ اللَّوْنِ إِنِّي أَبْيَضُ الْخُلُقِ (٤)

وعقدة اللون عكست آلام سحيم موضحاً أن الجمال ليس بالمظهر (اللون) إنما يكمن في الجوهر (الخلق) الذي أسبغ عليه البياض .

إِنْ يَكُنْ لِلْسَّوَادِ فِي نَصِيبٍ فَيَبِاضُ الْأَخْلَاقُ مِنْهُ نُصِيبِي (٥)

١ - المصدر السابق ، ص ٢٧٢ .

٢ - ديوان خفاف بن ندبة ، ص ١٠٨ .

٣ - ديوان سحيم عبد بني الحسحاس : تحقيق عبد العزيز الميمني ، ص ٥٤ .

٤ - المصدر نفسه ، ص ٥٥ .

٥ - ديوان سحيم ، ص ٥٤ .

ويشير إلى الصراع أيضاً من خلال عبوديته فنجد عنده التضاد (السواد - البياض) بدافع من إحساسه الداخلي ليمحو لون سواده بياض خلقه ، ليخلق تجانساً يوازن فيه صراعه الحاد من جراء حالته ووضع النفس المتأزم ، فهو يرسم صورة يبرز فيها الغربة النفسية التي يعيشها ويؤكد أن عقدة اللون التي يعاني منها اتخذت مساراً مؤلماً في حياته ، ويكشف لنا سحيم عن صراعه النفسي بسواده ويتخيل الورد بلونه ورائحته الذي يجلب العشاق ، فيقول :

فَلَوْ كُنْتُ وَرْدًا لَوْنُهُ لَعَشَقَنِي وَلَكِنْ رَبِّي شَانِي بِسَوَادِيَا (١)

اغتراب الرأي والهمة :

إن عوامل الصراع في الحياة كثيرة متباينة ظلت قائمة بين الفرد وما هو مشاع من آراء وتقاليد ثابتة لذا يرى في الانسلاخ عن الرأي السائد تحقيقاً للذات واستقلالاً في تنفيذ ما يعتقد بصوابه من وجهة نظره ، فيفر برأيه إلى من يؤنسه ويواسيه في غربته ، أو فكرته فهذا الصعلوك الشنفرى يلجأ إلى قوم ليسوا من بني جلدته ليوحي لنا مدى المعاناة النفسية التي جعلته يلجأ إلى الصحراء ويبحث عن البديل الذي سيتعامل معه حتى لو كان هذا البديل كائنات حية أخرى وفي ذلك يقول مخاطباً قومه :

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيئِكُمْ فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمِيلُ (٢)

ولما تتميز به هذه الكائنات من خصال قد لا تتوفر في بني جنسه ، وفي ذلك دلالة قوية على الرغبة في مقاطعة قومه :

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سَيِّدُ عَمَلَسٍ وَأَرْقَطُ زَهْلُولٌ وَعِرْفَاءُ جِيَالٍ
هُمْ الْأَهْلُ لَا مُسْتَوْدِعُ السَّرِّ ذَانِعٌ لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يَخْذَلُ (٣)

فقد حقق ذاته في الغربة بنزوعه إلى الفضاء ، ولنا أن نتصور حقيقة المعاناة النفسية التي تعتريه حين يجد نفسه خارج قبيلته منبوذاً مشرداً في الصحاري والفيافي

١ - ديوان سحيم ، ص ٢٦ .

٢ - التذوق الجمالي للامية العرب : د. محمد علي أبو حمدة ، ص ٥ .

٣ - المرجع نفسه ، ص ٥ .

، فهو يخفي جرحاً أليماً لا يندمل ، وفقد الشنفري ما يطمح إليه في عمل يرضيه ولا يجد في قربه ما يتلهى به ، ليستعويض عن قومه بصفات الفارس وعدته ليستعين بها في حياته بعد مغادرته لقومه :

وَإِنِّي كَفَانِي فَقَدْ مَن لَّيْسَ جَازِيَا بِحُسْنِي وَلَا فِي قُرْبِهِ مُتَعَلُّ
ثَلَاثَةُ أَصْحَابٍ فُؤَادٌ مُّشَيِّعٌ وَأَبْيَضُ إِصْلِيَّتٍ وَصَفْرَاءُ عَيْطُلٌ^(١)

ويبدو أن الشنفري حقق ذاته في الاغتراب بنزوعه إلى الفضاء الواسع " كرد فعل على أسبقية الرفض المجتمعي للفرد " (٢) .

ويجد افتراقاً عما يحمله قومه من آراء وتقاليد ، فحافظ السر يجد نفسه غريباً عن سواه ممن يفشونه ، ولذا نجد هذا الجانب الذي استكره الشاعر عند قومه ليس مدعاة للاغتراب في الرأي حسب ، بل مدعاة إلى العيش مع الوحوش لكتمانها السر ، فضلاً على عدم خذلانها الجاني إذا ما اقترب جريرة ما :

هُمُ الْأَهْلُ لَا مُسْتَوْدَعُ السَّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يَخْذَلُ^(٣)

وهذا عروة بن الورد يتحول عن صديقه الذي استمر بغيه ، إذ لا يوافقه فعل ذلك الصديق فاغترب عنه قائلاً :

وَحَلَّ كُنْتُ عَيْنَ الرُّشْدِ مِنْهُ إِذَا نَظَرْتَ وَمُسْتَمَعًا سَمِيعَا
أَطَافَ بَغْيِهِ فَعَدَلْتُ عَنْهُ وَقُلْتُ لَهُ أَرَى أَمْرًا فَظِيعَا

لعروة رأي وسلوك ثابتان ، وحين يؤمر بالعقوق يعيش غربة رأي يشعر بعدها بالضيق ، ولهذا نجده يرفض الانصياع لسلوك يرفضه ، فيتجلى الانصياع في أعماقه من أجل ترسيخ آرائه وسلوكه من خلال القيم الأخلاقية التي تلقاها الشاعر ، ودرج عليها ليحقق بها وجوده ليكون مدعاة للفخر ، وفي ذلك يقول :

إِذَا أَمَرَنِي بِالْعُقُوقِ حَلِيلَتِي فَلَمْ أَعْصِهَا إِنِّي إِذَا لَمَضِيعٌ (٤)

^١ - لامية العرب : شرح وتحقيق د. محمد بديع شريف ، ص ٣٢ . التعليل : التلهي . المشيع : الشجاع المقدم .

الإصلييت : السيف الصقيل المجرد من غمده . الصفراء : قوس . العيطل : القوة والطويلة .

^٢ - مقالات في الشعر الجاهلي : يوسف اليوسف ، ص ٣١ .

^٣ - في التدوق الجمالي للامية العرب للشنفري : محمد علي أبو حمدة ، ص ٢٠ .

^٤ - ديوانه عروة بن الورد ، ص ١٠٢ .

إن غربة الرأي التي رافقها غربة الفعل تشتد عند عروة ، وقد عبر عنها استنكاره لبكاء حليته وصياحها لأنه وجد الرأي والعمل الحق في أن يقوم بواجبه حيثما يدعوه ، ولذا فهو غريب العارف ، المنفذ للحق .

التغرب من أجل مقومات الحياة :

إن لاغتراب الصّعاليك من أجل مقومات الحياة أسباباً وعوامل تتجلى في العوامل البيئية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية ، وقد أبرز الشعر أكثر تلك العوامل في تفاصيل تجسدت فيها القدرة على إيصال معاناة هؤلاء الصّعاليك ، والحواز التي اصطدموا بها والمخاوف التي كانت تعترى حياتهم ، فالعامل البيئي المتمثل بالصحراء والجفاف دعا الشاعر إلى التنقل الدائم وراء مورد الحياة ، ولذا كان الفقر باعثاً لنتيجته التصعلك ، والصّعاليك فئة قليلة خرجت على تقاليد القوم ، ووجدت لها في اكتساب الرزق منفذاً عن طريق الغارة .

ولذا كانت الصّعلكة رد فعل لقسوة الحياة في محاولة لتوازن المعادلة الصعبة في الغنى والفقر لتخفيف حدة الفارق ، لكونهما حالتين متناقضتين .

وفي العصر الجاهلي تسلط العامل الاجتماعي على رقابهم للنظرة الفوقية التي كان ينظر بها الغني إلى الفقير ، هذه النظرة المتعالية تركت في نفوسهم أثراً تجلى واضحاً في سلوكهم العام .

ويبدو أن الفقر الذي يعانيه الصّعلوك وتتجلى فيه معاناته ومذلتة ، حيث يحس بمكانته الوضيعة في المجتمع ، والهوان الذي ضرب وشاحه عليه ، متعرضاً للوم الأهل والأقارب ، وفي ذلك يقول عروة بن الورد :

المالُ فيه مهابةٌ وتَجِلَّةٌ وَالْفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَفُضُوحُ (١)

وهنا نراه يخاطب زوجه قائلاً :

دَعَيْني لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ
وَأَبْعَدُهُمْ وَأَهْوَاهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ أَمْسَى لَمْ حَسَبْ وَخَيْرُ
وَيُقْصِيهِ النَّدَى وَتَرْدَرِيهِ حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ

١ - ديوانه عروة بن الورد ، ص ٤٣ .

وَيُلْفَى ذُو الْغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ يَكَاذُ فُؤَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
قَلِيلٌ ذَنْبُهُ وَالذَّنْبُ جَمٌّ وَلَكِنْ لِلْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ (١)

ويبقى الفقر مذلة عند الشعراء الصّاعليين ، والغنى يرفع الخسيس من خلال تجاربهم في الحياة .

إنّ الفقر يعني الجوع والحرمان ، وقد استقبله الشعراء الصّاعليين وجرت معالجته في إطار من التذرع بالصبر والتعفف ، يقول الشنفرى :

أَدِيمُ مَطَالِ الْجُوعِ حَتَّى أُمَيَّتُهُ وَأَضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحًا فَأَذْهَلُ
وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الْأَرْضِ كَيْ لَا يَرَى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ إِمْرُؤُ مُتَطَوِّلُ
وَلَوْلَا اجْتِنَابُ الذَّامِ لَمْ يُلَفَّ مَشْرَبٌ يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيَّ وَمَا كَلُّ (٢)

وفي إطار الصّعلكة نجد إمساك اليد في توزيع الزاد بغية الاحتراس ودفع جوع أشد ، فقد وكل الصّاعليين أمر طعامهم إلى تأبط شراً وكشف عن ذلك الشنفرى .

الدعوة إلى الاغتراب :

مدخلنا إلى الاغتراب يبدأ من حيث تصوّر السلوك البشري الذي يفرض على الشاعر ويجعله يصوغ لنفسه منهجاً جديداً يدفعه للانتزاع من أرضه وقومه بحثاً عن مقومات الحياة في الغربة سداً للعوز الذي أحق به ، والفاقة التي اعتورت حياته ، فيجد في الاغتراب ملاذاً يحتمي به ، ومنقذاً لتحقيق ما يصبو إليه من غنى يشعره بالاطمئنان ليحفظ كرامته بين قومه يقول الشنفرى :

وَلَكِنْ نَفْسًا مُرَّةً لَا تُقِيمُ بِي عَلَى الذَّامِ إِلَّا رَيْثِمًا أَتَحَوَّلُ (٣)

لذلك نجد رد الفعل على الفقر عند الشنفرى هو الاغتراب وفيه الغنى حيث

يقول :

وَأُعِدُّ أحياناً وَأَغْنَى وَإِذَا يَنَالُ الْغِنَى ذُو الْبُعْدَةِ الْمُتَبَدِّلُ (٤)

1 - ديوانه عروة بن الورد ، ص ٩١ - ٩٢ .

2 - لامية العرب ، ص ٣٩ - ٤٠ . أستاذ : ألهم . الطول : المن . المتطول : الممتن . الذام

: غاب وحقر .

3 - لامية العرب ، ص ٤٠ . النفس المرة : وصف النفس بالمرارة وهو من الإيحاء بمكان كبير .

4 - لامية العرب ، ص ٥٥ . البعدة اسم للبعد يريد (بعد الهمة) . المتبدل : الذي لا يبال .

وعروة بن الورد قد أكثر من الدعوة إلى الاغتراب من أجل الغنى ليستمكن من دفع الحقوق ، فهذه الأبيات هي التي قيل أن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال لمعلم ولده أن لا يرويهما إياها لأنها تدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم :

دَعْنِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ
وَأَبْعَدُهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسَبٌ وَخَيْرُ
وَيُقْصِيهِ النَّدَى وَتَزْدِرِيهِ حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
وَيُلْفِي ذُو الْغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ يَكَادُ فُؤَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ (١)

ويبدو أن عروة خبر الحياة وتمرس بتجاربها ولاحظ التفاوت الطبقي الذي تنقش في المجتمع الجاهلي من حيث نوعية الحياة المادية التي يحياها كل من الغني والفقير ، لذلك نراه يبتغي المال بشتى الوسائل لأن المال يمكن صاحبه من ضمان مستوى معيشي جيد ، لذلك نراه يلخص موقفه ، ويوضح الأسباب التي جعلته يرمي بكل ثقله قصد تحصيل المال الذي يمكنه من إقامة التوازن الحياتي الذي يقيه شر الوقوع في حياة العوز والحرمان .

وهو هنا يقول ومن لم يطلب معاشاً سيشكو الفقر ، فإما أن يغترب ليكسب المال وإما أن يموت فيعذر :

فَسِرْ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَاتِّمَسِ الْغِنَى تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتْ فَتَعْذِرَا (٢)
ويكرر الدعوة للاغتراب ويؤكد أن الموت خير للفتى من حياته فقيراً :
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَبْعَثْ سَوَاماً وَلَمْ يُرَحْ عَلَيْهِ وَلَمْ تَعْطِفْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ
فَلَلَمُوتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِنْ حَيَاتِهِ فَقِيراً وَمِنْ مَوْلَى تَدِبُّ عَقَارِبُهُ (٣)
على أن دعوته المتكررة للاغتراب وذكر الفقر إلا لتمهيد للتصعك .

١ - ديوان عروة بن الورد ، ص ٤٥ .

٢ - ديوان عروة بن الورد ، ص ٤٤ .

٣ - المصدر نفسه ، ص ١٩ .

الغزو والإغارة :

يبدو أن هناك عدة عوامل كانت باعثة على الفقر والحرمان الذي بدوره أدى إلى نتائج تمثلت بالدعوة إلى الاغتراب ، الصّعلكة ، والغزو والإغارة كل ذلك أدى إلى الاغتراب من أجل مقومات الحياة واستمرارها لتحقيق مكانة لائقة اجتماعياً ونفسياً .

إن مآرب البحث عن مقومات الحياة متعددة متشعبة منها الغزو والإغارة سواء أكان داخل دائرة الصّعلكة وما قدمه الشعراء الصّاعليّك من مسوغات وأسباب تدعو لذلك أم خارجها ، ولما يبيحه العرف القائم آنذاك ضمن التقاليد الموروثة الممتزجة بالفروسية - أفراداً وجماعات - لتلبية نداء الحاجة الملح كيما يحقق المرء وجوده على أديم الأرض ليوصل الحياة ويزيد ثروته غنائم جديدة ليعيش مرفهاً أو كان معسراً يقوت نفسه وعياله ، ومواجهاً تحديات الضائقة الاقتصادية وتعويض الحرمان (١) .

ومن هنا كان الصّعلوك يدعو إلى المخاطرة في سبيل المال لما للمال من أهمية اجتماعية ، ولا يقتصر الغزو على الألوّف ممن لا يملكون طعام يومهم " بل إن نظام الصحراء الصّارم فرض الغارة بموافقة الأسياد فيما يتعلق بالأحرار لأنها تخدم قضيتهم الطبقيّة " (٢) .

وقد كشف الصّاعليّك عن مضمون مذهبهم في الغزو طلباً للغنائم واتخذوا الغزو والإغارة شعاراً لهم وهدفاً ، ويشير عروة بن الورد إلى الانتزاع من أجل الغزو والعودة بالغنائم ويقول لزوجته وكانت قد نهته عن الغزو :

ذَرِينِي أُطَوِّفُ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي أُخْلِيكَ أَوْ أُغْنِيكَ عَنْ سُوءِ مُحَضَّرِي
فَإِنْ فَازَ سَهْمٌ لِلْمَنِيَّةِ لَمْ أَكُنْ جَزَوْعاً، وَهَلْ عَنْ ذَاكَ مِنْ مُتَأَخَّرِ
وَإِنْ فَازَ سَهْمِي كَفَّكُمْ عَنْ مَقَاعِدِ لَكُمْ خَلْفَ أَذْبَارِ الْبُيُوتِ وَمَنْظَرِ (٣)

١ - الاغتراب في الشعر العربي قبل الإسلام : د. صاحب خليل إبراهيم ، ص ١١٥ .

٢ - مع الشاعر الجاهلي في عوالم اغترابه (بحث) : عادل جاسم البياضي ، ص ٩١ .

٣ - ديوان عروة بن الورد ، ص ٣٦ .

يبدو أنّ مشكلة الفقر في مقدمة مشاكلهم فلا يجدون حلاً سوى السعي المتواصل في طلب الرزق فيمضون منطلقين في بلاد الله الواسعة لكسب المال " لأن المجتمع الجاهلي مجتمع متعسف ، يحتقر الفقير لأنه فقير وحسب ، ويجل الأغنياء لا لشيء إلا لأنهم أغنياء فتألم عروة بن الورد لذلك وأعلن الثورة على الأغنياء ولكنه مع ذلك كان يميز بين الأغنياء الشرفاء الذين يقومون بأداء الحقوق وبين الأغنياء الأسماء الذين لا يرعون لفقير ذمة ، فكان يتخير لغزواته من عرفوا بالبخل ومن لا يمدون يد العون للفقراء والمحتاجين ، ولا يرعون حقوق الأقارب " (١) ، وفي ذلك يقول :

لَعَلَّ انْطِلَاقِي فِي الْبِلَادِ وَبُعَيْتِي وَشَدَّي حَيَازِمَ الْمَطِيَّةِ بِالرَّحْلِ
سَيَدْفَعُنِي يَوْمًا إِلَى رَبِّ هَجْمَةٍ يُدَافِعُ عَنْهَا بِالْعُقُوقِ وَبِالْبُخْلِ (٢)

١ - عروة بن الورد حياته وشعره : د. إبراهيم شحادة ، ص ٩٨ .

٢ - ديوان عروة بن الورد ، ص ٥٤ . الحيازيم : الواحد حيزوم : الصدر . الهجمة : القطعة من الإبل من الخمسين إلى الستين .

الخاتمة :

بعد أن طوفنا معاً في عوالم غربة الشّعراء الصّاعليّك عبر صحراء امتدت امتداد البصر ، واتّسعت اتّساع قلوبهم النّابضة بالشّجاعة والفروسية ، وفي كلّ خطوة يخطونها كانت قلوبهم تخفق للذّكريات الأليمة التي فرضت عليهم بالرّغم من مرارة الشّكوى ، والألم المحض ممّا لحق بهم جراء حقّ لهم قد خرم أو نعمة حزينّة تسربت إلى أعماقهم فاغتربوا نفسياً بسبب الوضع الاقتصادي السيئ ، الذي ساد المجتمع الجاهلي والوضع الاجتماعي الذي تعرضوا له إزاء طردهم من قبائلهم ، حيث أدّى عامل الجوع والحرمان إلى جعل هؤلاء الصّاعليّك لا يتردّدون في الإقبال على النّهب والسّلب حين يتعلّق الأمر بما يسدّ الرّمق لذلك نراهم متأهّبين لأخذ دورهم في الحياة من أجل لقمة العيش ويرسمون الخطط لنيل الغنيمة ، فالجوع يمزق أحشائهم ويضعف قواهم إلى درجة تهديدهم بالموت فالمسألة أضحت صراعاً حقيقياً بين الموت أو البقاء ، ومهما يكن فشرهم يبقى مرآة تعكس تلك الحياة ورمزاً لأسرار حياتهم تكمن فيه طموحاتهم وآمالهم وآلامهم ، وشاهداً أميناً على معاناتهم في صراعهم من أجل البقاء عبر صراعهم في احتدام الضّغوط القبلية والاجتماعية التي عانوا منها غير أنّ هذه الدّراسة ركّزت على الجوانب المضيئة في حياة هؤلاء الفرسان ، وتناولت صفاتهم الإيجابية كالفروسية ، والصّبر ، وقوّة البأس ، وسرعة العدو ، والشّجاعة ، والشّعور بالكرامة في الحياة وشدّة الكرم والجود .

وكما ظلّ الصّاعليّك ظلّم شعرهم ، فلم ينل من الدّراسة ما نال غيره أمثال المعلقات وغيرها .

وقد توصّلت الدّراسة إلى ما يأتي :

١. إنّ قصائد الصّاعليّك تعدّ من عيون الشّعر العربي ، وامتاز شعرهم بقوة العاطفة وسعة الخيال وقد خلا من المقدمات الطّلية فكانوا أوّل من كسر بنية القصيدة ، كما خلا شعرهم من المدح والطّول فانتهجوا شعراً جديداً .

٢. مدى تأثير الغربة والاعتراب في حياة الصّعاليك فقد خاطروا بحياتهم وساحوا في عرض البلاد وطولها طلباً للحصول على رزقهم بكافة السبل ليبقوا ، فالصّعلوك يسعى في مناكب الأرض كريماً عزيزاً لا يتدلل لأحد .

٣. أكد الشعراء الصّعاليك أنّ مبدأ الغاية يبرر الوسيلة فقد كان شعرهم دعوة لنبذ الواقع المحبط ، وأخذ مال الأغنياء والموسرين وتوزيعه على أصحاب الحاجة لسد رمقهم ، فقد تمردوا على الواقع المرير نتيجة الظروف التي كانوا يعيشونها ليحترفوا الصعلكة وينضموا إلى من تصعلك قبلهم ، فالصّعلوك يدعو للحصول على طعامه ولو أدى ذلك إلى امتشاق السيّف .

٤. تأثير البيئة الصحراوية في حياة الصّعاليك : فالصّعلوك عاشق مغامرات ، لا يبالي بالحياة والحرص على ما فيها ، لأنه يريد أن يكون عزيزاً بقوة وكرامة بعيداً عن ذوي الترف والدعة ، فقد تربى في أحضان الصحراء ، فاكسبته شدة البأس والصراحة ، وقوة المراس ، لذلك نراه طريداً أو خليعاً حيث تنبأ منه القبيلة وتعلن على الأشهاد أنها غير مسؤولة عن تصرفاته .

٥. البحث عن البديل الاجتماعي للقبيلة :

إنّ الصّعلوك لا ينطق معبراً إلا عن نفسه تفكيراً وتصويراً وخيالاً ، لأنّ القبيلة طردته وحرمته من حماية الجماعة وأعلنت البراءة منه ، وفرضت العزلة عليه ؛ لهذا نجد أنّ التعبير عن ضمير الجماعة غير موجود ، بل وجد مقابله الضمير الفردي اعتزازاً وافتخاراً ، وربما كان هناك اعتزاز بوحدة الصّعاليك الجماعية ، كما وصف الشنفرى رفيقه تأبط شراً بوصف يقابل شيخ القبيلة إذ وصفه بالأم التي تربي أبناءها والأم التي تحرص على خير عيالها ، فالصّعلوك يرسم في شعره صورة مشاعر جماعية عوضاً عن تقاليد القبيلة إذ أنّ الرابطة بين هؤلاء الشعراء الصّعاليك مذهبية فكرية بعد أن كانت قبيلته عصبية ، وقد حلت الرابطة الصّعلوكية الجماعية محل الرابطة القبلية في أحاديثهم .

٦. كما نجد ظاهرة أخرى في أشعارهم وهي التّشرد والنّأي عن الأهل وبعدهم عنه لتثور فيهم ظاهرة الشّجاعة والغزو لأعدائهم ومهاجمتهم للقوافل التجاريّة .

وما رغبة الصّعلوك في المسير والرحيل والاغتراب إلا هرباً من الأذى وهجر أهل لا يحبون قربه ، ولا يقدرونه ، فالصّعلوك لا يملك كفاف عيشه وطعامه ، فتدفعه الحياة لكي يواجه مخاطرها ، وتترأى له الأرض باتّساعها لهومومه ، فهو يرى أنّ كريم النّفس يجد من النّقلب ما يبعد به عن أن يحتل الضّيم أو أن يلحقه الأذى من النّاس .

وما تلك النّتائج التي توصّل إليها البحث إلا ثمرة رحلة مضمّنية ممتزجة بالمتعة العلميّة .

آمل أن أكون قد أسديت خدمة لتراثنا العربي المجيد فيما قصدت إليه ، فإن وفقت لتلك الغاية السّامية فبعون الله وفضله ، وإلا فحسبي شرف المحاولة والغاية وحسن النّية الخالصة وثواب التّوجه للبحث بإخلاص وهمّة ، وما الكمال إلا لله وحده ، فهو نعم المولى ونعم النصير ، وله الحمد والشّكر أولاً وآخراً على فضله ونعمه .

المصادر والمراجع :

١. الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٩٢ م .
٢. الاغتراب في الشعر العربي قبل الإسلام ، د. صاحب خليل إبراهيم ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء ، الجمهورية اليمنية ، الطبعة الثانية ٢٠٠٣ م .
٣. جدلية القيم في الشعر الجاهلي رؤية نقدية معاصرة ، بحث د. بو جمعة بعيو ، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ٢٠٠١ م .
٤. دراسات في الأدب ، د. عبد العزيز بنوي مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م .
٥. ديوان خفاف بن ندبة السلمي ، جمعه وحققه د. نوري القيسي ، مطبعة دار المعارف ، بغداد ، ١٩٦٨ م .
٦. ديوان سحيم عبد بني الحساس ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٠ م .
٧. ديوان عروة بن الورد ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٦٦ م .
٨. ديوان عروة بن الورد والسموأل ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٤ م .
٩. ديوان عنتر بن شداد ،
١٠. ديوان عمرو بن كلثوم ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م .
١١. السليل بن سلكة ، دراسة وجمع وتحقيق ، حميد آدم تويني وكامل سعيد عواد ، مطبعة العاني ، ط ١ ، ١٩٨٤ م .
١٢. الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، تحقيق وشرح ، أحمد محمد شاكر ، ط ٣ ، ١٩٧٧ م .
١٣. الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، د. يوسف اخليف .

١٤. الشنفرى شاعر الصحراء الأبي ، محمود حسن أبو ناجي ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٤م .
١٥. الطّبيعة في الشعر الجاهلي ، د. نوري حمودي القيسي ، مطبعة دار الإرشاد ، ط١ ، بيروت ١٩٧٠م .
١٦. طرفة بن العبد ، حياته وشعره ، د. محمد علي الهاشمي ، طبع في بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٠م .
١٧. العصر الجاهلي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة التاسعة عشرة ١٩٦٠م .
١٨. عروة بن الورد ، حياته وشعره ، إبراهيم شحادة الخوجة ، منشورات المنشأة الشعبية ط١ ، ١٩٨١م .
١٩. عنتره ، دراسة وتحقيق محمد سعيد مولوي ، مطبوعات المكتب الإسلامي ١٩٦٤م .
٢٠. الفروسية في الشعر الجاهلي ، نوري حمودي القيس ، مطابع دار التضامن ، ط١ ، بغداد ، ١٩٦٤م .
٢١. في التذوق الجمالي للامية العرب ، د. محمد علي أبو حمدة ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢م .
٢٢. القاموس المحيط ، الفيروز أبادي .
٢٣. القيم التربوية في الشعر العربي القديم ، أ. أحمد جهان الفورتية ، الشركة الدولية للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٧م .
٢٤. لسان العرب ، ابن منظور (ت ٧١١هـ) دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، أعاد تصنيفه على الكلمة والحرف ، يوسف خياط ونديم مرعشلي ، بيروت ، ١٩٥٦م .
٢٥. مجمع الأمثال ، الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد (ت ٥١٨هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ١٩٥٩م .

٢٦. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، الرّاغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين ابن محمد الفضل (ت ٥٠٢هـ) ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١م .
٢٧. مع الشاعر الجاهلي في عوالم اغترابه ، بحث عادل جاسم البياتي ، نشر في ملحق مجلة الأجيال العراقية ، العدد الأوّل ، سبتمبر ١٩٧١م .
٢٨. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، د. جواد علي ، مطبعة دار العلم للملايين ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٧٠م .
٢٩. المفضليات ، المفضل بن محمد (ت ١٧٨هـ) ، تحقيق لایل ، ط أوكسفورد ١٩٢٠م ، تحقيق شاكر وهارون ، ط دار المعارف ، مصر ١٩٦٤م
٣٠. مقالات في الشعر الجاهلي ، يوسف اليوسف ، دار الحقائق ، ط ٤ ، بيروت ، ١٩٨٥م .